

منى حارس

جمعية قتل الرجال

رواية

-تحذير-

عزيزي الرجل يجب أن تعلم جيدا بأن ما كتب في تلك الرواية

لن يعجبك إطلاقا وربما أصابك بأزمة قلبية

فإن قررت أن تكمل القراءة وهذا القرار يرجع إليك وحدك، فلن يجبرك أحد على فعل شيء

فاعلم عزيزي الرجل بأنني قد حذرتك منذ البداية فلا تلم إلا نفسك في النهاية، وإن كنت مريض ضغط أو سكر أو قلب

فنصيحتي لك أن تتناول دواءك أولا

لأن ضغطك سيرتفع لا محالة وستستفزك بعض المشاهد الدموية بالرواية، فطريقة قتلنا وتعذيبنا للرجال في جمعية قتل الرجال جديدة وتختلف ولن تجدها في أي مكان أخر

ثق في...

د. منى حارس

(١)

محافظة القاهرة

١٣من يوليو الساعة الثالثة فجرا...

كان حفل زفاف كبير في قاعة فاخرة ملحقة بأحد الفنادق الكبرى من فئة النجوم السبع، كان الجميع سعداء يرقصون ويغنون يتمايلون مع الموسيقى الحالمة، سوف يتحدثون عن ذلك الحفل لأيام عديدة، إنتهى العرس في تمام الثالثة فجرا، صعد العروسان إلى غرفتهما الخاصة، لقد أهداها لهم الفندق كهدية قضاء ثلاث ليال مجانية في إحدى الأجنحة الفاخرة بالفندق الكبير جناح شهر العسل.

صعد العروسان واستقلا المصعد للدور الخامس عشر حيث جناح العروس بالفندق الشهير، دخلا الغرفة وكان الفندق قد قام بتزينها على الطريقة الهندية فالكثير من الورود ورائحة الياسمين المنعش على الفراش، دخلا الغرفة والسعادة تغمر قلبيهما فلقد تزوجا عن قصة حب كبيرة منذ أكثر من عشرة أعوام وكانت هناك الكثير من العثرات والثغرات والرفض من قبل الأهل لإتمام تلك الزيجة، فلم تكن الفتاة من نفس المستوى الإجتماعي والمادي للشاب بل كانت من مستوى أقل ومن بيئة مختلفة تماما عن بيئته وحياته المرفهة،

فكانت منار من عائلة فقيرة تعيش في أحد الأحياء الشعبية بمنطقة بولاق الدكرور، وكان وليد شاب ثري ومن أسرة مرموقة جدا بالمجتمع فوالده صاحب أشهر مصانع الحديد في مصر كلها، يعيش في الزمالك في فيلا فاخرة، ولكنه الحب الذي لا يعرف تلك السخافات والفروقات الاجتماعية، فلقد اجتمعا في نفس الكلية، كلية الطب جامعة القاهرة، لم تشفع عند أهل وليد دراسة منار العلمية وبأنها ستصبح طبيبة بعد سنتين من التخرج، نشأت قصة حبهما منذ اللقاء الأول ومنذ أن تلاقت عيونهما في أول يوم لهما بالجامعة، كان حبهما يكبر يوما بعد يوم متحديا كل شيء غير مبال بأي عرف وتقليد حتى فاتح وليد والدته بأمر منار.

ولكنها رفضت بشدة ووبخته على ما يريد، فالفتاة لا تناسبة اجتماعيا والمستوى الثقافي لا يشفع وحده هي تعرف ذلك حاول وليد كثيرا حتى بعد تخرجهما معا وعملهما معا بنفس المستشفى، وأخير بعد عشر سنوات وافق والدا وليد على مضض فهو ابنهما الوحيد في النهاية وهما يتمنيان سعادته رغم كل شيء، وها هي اللحظة التي يتمناها وليد وتتمناها منار منذ سنوات عجاف، أن يجمعهما مكان واحد ويكونا معا.

كانت السعادة مرتسمة في عيونهما، دخلا الغرفة احتضنها

وليد بشوق بين ذراعيه، فكان يتمنى تلك اللحظة منذ سنوات فلم تسمح له منار بلمسها يوما، كان الشوق يقتله واللهفة تمزق كيانه لتقبيلها، اندمجا في قبله طويلة ليودعاها كل ذلك اللهيب في صدرورهم والشوق المستعر في القلوب، فلن يشعر بمدى شوقهما إلا عاشق حرم من حبيبه، كانت هي سعيدة ولكنها تشعر بالخجل الشديد هي تتمنى أن تذوب بين يديه عشقا، ولكنها محرجة ومرتبكة في نفس الوقت، أفلتت منه قائلة بخجل:

ـ وليد أريد دخول الحمام لأبدل ثوب الزفاف اتركني أرجوك.

ـ نظر لها بلهفة قائلا:

ـ ولما لا تبدليه هنا سأساعدك

احمر وجهها خجلا وقالت:

ـ وليد اصمت سأبدل ثيابي وأعود اليك.

أمسكها من ذراعها وقبلها من عنقها بلهفة قائلا، انتظري حبيبتي سأساعدك وبعدها حاول الإقتراب منها بشغف، فأبعدته وهي تردد:

ـ ابتعد عني سأبدل ثيابي في الحمام فأنا محرجة

أسرعت تركض بخجل وقد احمر وجهها وشعرت بالحرارة تسري في جسدها كله وسمعت صوته يردد بهمس:

لا تتأخرين حتى لا تفوتك المفاجأة حبيبتي التي أحضرتها لك، دخلت الحمام وهي تركض بخجل شديد وأغلقت الباب بالمفتاح خلفها حتى لا يدخل، كانت متوترة جدا وخائفة في نفس الوقت، تهيم به حبا لا تنكر ولكنها محرجة بشدة، سمعت صوت عال ودوشة من خارج الحمام ابتسمت وهي تقول لنفسها:

_ لا أعرف ماذا يفعل هذا المجنون بالخارج ولكنني سأدعه ينتظر حتى يسيطر على مشاعره قليلا، ازداد صوت الارتطام بالخارج لدرجة مقلقة، فتحت الباب بقلق ولم تبدل حتى ثوب زفافها بعد وقالت بتوتر:

_ هل جننت يا وليد ما تلك الضجة..

لم تكمل جملتها من هول ما رأت فأطلقت صرخة مدوية، وبعدها سقطت فاقدة الوعي لا تتذكر شيء ولا حتى تصدق ما رأت أمام عينيها.

كانت رائحة شواء اللحم واحتراق الشعر تملأ الغرفة بصورة كبيرة وخانقة، وكان رجال البحث الجنائي والمحققون يملئون الغرفة يلتقطون عشرات الصور لكل

زاوية من زوايا الجثة والغرفة كلها، لقد كان المنظر مهيب وجلل لن ينساه كل من رآه، فكانت العروس فاقدة الوعي على الأرض لا تتحرك تقريبا لا يعلمون هل غادرت روحها الحياة أم أنها فاقدة الوعي فقط، وكانت الغرفة مقلوبة رأسا على عقب فكل شيء فيها مدمر تماما، وكأن إعصارا مدمر أو تسونامي قد مر من هنا، فدمرها تماما وقلبها رأسا على عقب، كل شيء كان محطم ومهشم ومقلوب رأسا على عقب وكان الطبيب الشاب وليد عبد العال بكري، العريس الذي لم يمر على زواجه أقل من ساعة، ولم يدخل دنيا بعد قد غادرها بكل قسوة ووحشية.

لقد كان معلقا من قدمية اليسرى بخطاف من الحديد مكان مصباح الغرفة في منتصف الحجرة، كان الشاب عاري تماما مذبوح كالنعاج من الرقبة ولكنها في الحقيقية لم تفصل تماما، فمازالت هناك تلك القطعة الرقيقة من الجلد التي تمسكها بباقي الجسد لتتدلى في منظر مقزز، وكان كفي يديه مفصولان تماما عن الجسد، فيبدو أنه تم بتر اليدين بشيىء ساخن جدا وحاد مرة واحدة، فلا توجد قطرة دم واحدة تنزف مكان بتر كفين الرجل فلقد تم كي الأوردة والشرايين بشيء من الجمر الملتهب وحرارته شديدة جدا، فكانت حالة الجثة مزرية فعند الصدر الأبيض العاري، حفر بلامبالاة وكأنهم يحفرون على جزع شجرة على صدر الجثة العاري

فيما يبدو بالشوكة أو بألة حادة لا أحد يعرف ولكنهم كتبوا جملة بارزة على لحم الرجل:

«سأفعل ما تريدون جميعا – سأعود إليكم»

وكان كل الجزء السفلي للرجل محترق تماما ومتفحم من بداية السرة وحتى أصابع القدمين، يبدو أنه قد تم سكب مادة كيميائية وحامض قوى ليحرق ذلك الجزء من الجسد بتلك الطريقة الصعبة والحرق يبدو من الدرجة الأولى، ومن الواضح بأن جزء الرجل السفلي قد تم حرقة وهو مازال على قيد الحياة وأمام عينيه.

فلقد كان وجه الرجل يبدو عليه الألم ممتزج بالرعب والفزع الشديد، ولسانه متدلى من الفم للخارج وكأنه يستنجد بمن ينقذه.

على ما يبدو بأنه شاهد من فعل هذا وشعر بما يحدث له وبكل خلية من جسده وهي تحترق، فمن المؤلم رؤية أجزاء جسدك السفلية وهي تحترق أمام عينيك وأنت معلق كالذبيحة تراها من الأعلى، كان الجميع في حالة من الوجوم والصدمة الشديدة من مظهر العريس الذي لم يدخل دنيا بل ذهب للجحيم مباشرة بلا أي رجعة ولا بادرة أمل.

رفع رجال الإسعاف العروس الفاقدة الوعي فوق المحفة،

ويبدو أن حالتها كانت سيئة جدا فلم تستجب لأي إفاقة فدخلت في حالة غيبوبة وصدمة شديدة.

وقف المقدم أدهم وهو يشعل سيجارته لينفث دخانها بعنف شديد، ليخرج ذلك التوتر الشديد وما بداخل صدره من توتر وإنفعال وغضب نعم غضب يجتاح كيانه وهو يتخيل نفسه في مثل وضع الرجل وأحرقوا أعضائه حيا ولم يكتفوا بحرقة بل ذبحوه كالنعاج، وقبل النحر حفروا بسكين حاد فوق صدره ليكتبوا ما كتبوا فوق اللحم ليشعر بوغز السكين وهي تقطع من لحمة، وربما قطعوا الكفين أيضا قبل الذبح حتى يشعر بالألم أكثر وأكثر فيا لقسوة تلك الحياة.

لقد تم كي كفين العريس بشيء من جهنم فما تلك القسوة والوحشية المفرطة في تعذيب المسكين، وماذا فعل الرجل ليحدث به كل هذا ويعاني لتلك الدرجة لقد كان أسعد يوم في حياته.

قال أدهم موجها كلامه لمساعده الملازم أول سليم ، وهو ينظر بشرود ويفكر في العروس التي يحملها المسعفون ومازالت بثوب الزفاف الأبيض:

_ هل تعتقد بأنها هي الفاعلة يا سليم؟

ردد سليم بثقة:

ـ لا أظن يا أدهم بيك بأنها تستطيع فعلها، فهي حتى لم تبدل ثوبها، كما أن ثوبها نظيف تماما فليس هناك أثار دماء ولا عنف فلا قطرة دم واحدة تلطخه، يبدوأنها تفاجأت بالأمر كما تفاجأ من رأى الرجل، فسقطت فاقدة الوعي ولم تتحمل المنظر لعريسها، كما أن الغرفة مدمرة تماما وكأن هناك إعصار ووحش كاسر أو شيء خارق للطبيعة قام بتدميرها وليس للبشر دخل بالأمر أنظر هنا لذلك الجدار المحطم أجزاء منه فكيف للبشر بفعل ذلك، إلا لو كانوا خارقين وهنا ردد أدهم بسخرية:

ـ هل ستخرف يا سليم الآن فليس هذا وقت للمزاح والسخرية، فليس هناك شيء خارق للطبيعة، وغير خارق للطبيعة، ولكنه مختل ومجنون مريض نفسي هو من فعل كل ذلك بالمسكين في ليلة عرسه، و أعتقد بأنه شخص قوي جدا حتى يستطيع فعل كل ذلك، ويدمر الغرفة بتلك الطريقة الغريبة، فانظر إلى الجدران المتشققة هنا، يبدو أن أحدهم قذفها بشيء ثقيل وبقوة كبيرة لذلك تشققت جدارن الغرفة وكأنها خرجت لتوها من زلزلال بقوة ١٠ ريختر، وأشار بيديه إلى جزء من الجدار بتعجب كبير، كان كلام أدهم منطقي جدا فالغرفة تعرضت للتدمير الكبير بفعل شخص قوى وربما أشخاص وليس شخص واحد ولكن هل للعروس دخل بالأمر هل هي الفاعلة، فمن هيئتها وحجم جسدها الهزيل لا

يظن أحد أن تقوم بذلك وحتى إن أرادت قتل الرجل فلما تقتله في ليلة الزفاف وبتلك الوحشية المفرطة بالتعذيب والسادية؟!

ردد أدهم موجها سؤاله لكبير خادمي الغرف بالفندق، فلم يحضر مدير الفندق بعد قائلا بصوت مترقب:

_ أخبرني يا رجل ماذا حدث هنا بالضبط من البداية؟

قال الرجل بصوت مبحوح متقطع خرج بصعوبة من حلقه الجاف:

_ لا أعرف يا سيدي الشرطي، أقسم لك لا أحد يعرف شيء ولا ما الذي حدث لقد سمعنا صراخ العروس الهيستيري عالي جدا تستغيث أن ينقذها أحدهم وبعدها صوت ارتطام عنيف، فاضطررنا لفتح الباب لأننادققنا الباب كثيرا ولم يفتح أحد لنا، فدخلنا بالمفتاح الاحتياطى الذي نحتفظ به لنظافة الغرف ووجدنا العريس معلق بتلك الطريقة ونصفه محترق والعروسة على الأرض فاقدة الوعي، فقمنا بإبلاغ الشرطة وحضرتم أنتم بسرعة، أقسم لك هذا كل شيء يا سيدي.

نظر أدهم طويلا للرجل وهو يضيق عينيه، ليتأكد من صدق كلامه قائلا:

_ أخبرني متى دخلا العروسان لغرفتهما ومتى سمعتم

الصراخ بالضبط.

رد الرجل بصوت متوتر وهو يشيح بنظره بعيدا عن جثة العريس التي مازالت معلقة بسقف الحجرة ومازالوا يلتقطون لها مئات الصور لا يفهم لماذا لا يرحمون الرجل ويدارون سوأته وقال بصوت مهزوز:

_ لقد انتهى الحفل في تمام الثالثة ودع العروسان المدعوين و استقلا بعدها المصعد إلى غرفتهما ربما دخلا الغرفة في الثالثة والنصف وخمس دقائق، ولقد سمعنا الصراخ في الرابعة تماما، وأسرع ا الجميع لمعرفة ما يحدث فدخلنا الغرفة وشاهدنا العريس مذبوح ومعلق والعروس ساقطة على الأرض، فأبلغنا الشرطة أقسم لك هذا كل شيء وما حدث بالتفصيل.

نظر أدهم إلى زميلة سليم فقال ادهم:

_ اذهب يا رجل ولا يغادر أحد الفندق حتى ينتهى التحقيق.

هز العامل رأسه بنعم ولم يرد وإنصرف مسرعا، كان يريد إستنشاق هواء نظيف فرائحة اللحم المحترق ممتزجة برائحة الموت كانت كريهة جدا ومقززة لا يحب أحد أن يستنشقها أبدا .

نظر سليم إلى عيون أدهم وقال بتوتر:

ـ لا أفهم كيف تحدث كل تلك الفوضى في أقل من نصف ساعة، هناك شيء غامض وغريب بالقصة لا افهمه، نظر أدهم إليه طويلا ولم يرد بل كان عقله في شيء آخر كان عقله يفكر في العروس، هل رأت ما حدث لزوجها وشاهدت الفاعل أم أنها لم ترى شيء، ولماذا لم يقترب القاتل منها يا ترى؟

قطع حبل أفكاره أحد رجال البحث الجنائي وهو يردد بدهشة:

ـ ما تلك المادة البيضاء لا أفهم تبدوا كرواسب حامض اختلط بالهواء؟

اقترب مساعد اخر للرجل وهو يردد:

ـ ربما هي ما تسببت في حرق الرجل فتلك الحروق بفعل مادة كيمائية وحمضقوي وليس نيران عادية أبدا، فتآكل اللحم بتلك الطريقة لا تحرقة نيران..

رد الأول:

ـ سنرسلها للمعمل الجنائي وسنعرف ماهيتها وجمع بعض منها في أنبوبة اختبار من الزجاج، بما يشبه الفرشاة الصغيرة كان أدهم يتابع ما يقولان باهتمام كبير، دون أن ينطق ولكن

حدثه كان يخبره بأنه مقبل على أيام سوداء ولن ينام فيها.

محافظة الجيزة

١٤ من يوليو الساعة الثالثة فجرا

كان سامي ينام بجوار زوجته يشعر بالإنهاك الشديد ممتزج بالسعادة والإنتشاء، فمنذ ساعات قليلة كان حفل زفافه على إبنة عمه الجميلة رحاب التي فاز بها بعد سنين من التعب والغربة في إحدى دول الخليج للعمل هناك، لقد ذاق الكثير من المهانة والذل من أجل أن يشتري تلك الشقة الفاخرة وذلك الأساس الغالي ويؤمن مستقبله، ليستقر في مصر.

لقد أفتتح محل لبيع الهواتف الجوالة وملحقاتها، وجهز شقته وتزوج من ابنة عمه الجميلة ذات الجسد الممشوق والقوام الرائع، واليوم كان أجمل يوم في حياته أصر على أن ينهي حفل العرس مبكرا، حتى يذهب إلى منزله فلقد كان مشتاقا لعروسته، إنتهى حفل الزفاف في الحادية عشر وذهب العريس مع عروسته إلى منزله مباشرة ورفض دعوة اصدقائه وأقاربه للسهر مع العروس في أي مكان، هو يريد أن يجتمع مع زوجته ويسهرا في منزلهما ولقد وصلا في تمام الحادية عشر والنصف.

أبدلا ثيابهما وقضيا أجمل ساعتان في حياتهما معا وبعدها

نام العريس وهو يشعر بالإنهاك والنشوة، ونامت العروس وهي تشعر بالإرهاق فلقد كان اليوم طويل عند مصفف الشعر والإستعداد لحفل الزفاف، كانت الساعة وقتها الثانية بعد منتصف الليل، لقد سمع سامي دقات الساعة التي أحضرها معه من الدولة العربية التي كان يعمل بها، خارج غرفة النوم تشير إلى الثانية فجرا، نظر إلى عروسته النائمة كالملاك بجواره بثياب النوم البيضاء وشعرها الثائر على الوسادة بدلال ممتزج بالجنون، كانت جميلة ويبدو أنها كانت مرهقة ولم تنم منذ أيام بسبب استعدادات العرس، قبل جبهتها بحنان ووضع يده على خصرها واحتضنها بقوة لا يصدق بأنها أخيرا أصبحت ملكه وحده وأغمض عينيه، قالت وهي تتأوه، من بين اليقظة والنوم:

_ أحبك تصبح على خير.

ردد بهيام:

_ وأنا اعشقك تصبحين على خير حبيبتي.

_ أغمض عينيه، وحاول النوم، هل دخل في النوم،أم مازال متيقظ هل يحلم أم أن تلك الخربشة حقا تأتي من الخارج، حاول أن يتناسى الأمر وهو يوهم نفسه بأنها مجرد أوهام وليس هناك صوت غريب سوى صوت السعادة التي تجتاح جسده وقلبه وعقله وكيانه الآن فقط، ولكن الصوت تلك

المرة كان عاليا لم يستطع أن يتجاهله هل هو لص، وما هذا اللص الغبي الذي يقتحم شقة عريس ليلة الزفاف؟

ـ لا لا لن يكون لص أبدا فحقا اللصوص تفهم في تلك الأمور والواجب ولن يفعلوها اليوم، قام من فوق الفراش ارتدى شيئا ليستر بهجسده وخرج وهو يشعر بالتوتر ، نظر إلى زوجته النائمة وخرج يستطلع ما الأمر وما تلك الأصوات بالخارج ويا ليته ما فعل .

***

استيقظت رحاب صباحا وهي تشعر بالإرهاق الشديد والألم نظرت جوارها على الفراش إلى عريسها سامي وهي تقول:

ـ صباح الخير حبيبي..

ولكنها لم تكمل جملتها فلم تجده جوارها إعتقدت بأنه دخل الحمام ليستحم، نزلت من فوق الفراش وارتدت الروب ووقفت أمام المرآة تمشط شعرها وتضع بعض العطر، والقليل من أحمر الشفاه، خرجت بتكاسل وهي تنادي على إبن عمها وزوجها مرددة:

سمسم أين أنت حبي...

في الحقيقية هي لم تكمل حتى جملتها فلقد وقفت تصرخ بهيسترية شديدة لا تصدق ما تراه أمامها في البهو الواسع، فلقد كان مقلوب رأسا على عقب وكل شيء محطم بطريقة غريبة، و كأن إعصار قد حطم كل شيء، شعرت بأنها ستموت وقلبها سيتوقف مما تراه أمام عينيها، فجهازها الثمين والنيش والصحون والأكواب الكريستال الغالية والصيني والأكروبال كانت محطمة تماما.

و كان العريس معلق مكان النجفة الكريستال في منتصف الرسبشن تماما.

معلق بخطاف من الحديد مغروس في لحم قدميه عاري الجسد وكان مذبوح من رقبته ويتدلي لسانه للخارج بطريقة مقززة جدا وعيونه مخلوعة من مقلتيها وتخرج من تجويف العين، ولكنها لم تسقط على الأرض فهناك ما يشبه الحبل ليمسكها بالرأس، وكانت كل أجزائه السفلية محترقة ومتفحمة بشكل صعب،وحتى يديه لم تكن موجودة لقد قطعوها له، هل سرقوا كفين زوجها أم أنها مدفونة بين ذلك الحطام من الأكواب والأطباق المحطمة، صرخت بفزع هل حفروا على صدر زوجها العاري بسكين على اللحم فقطعوه، هل بقروا بطنه فأخرجوا الأمعاء والأحشاء من مكمنها، كانت الدماء تغرق الأرض والسجاد الجديد الذي لم يطأه أحد ولم

يسير عليه أحد بعد، كل تلك الأشياء ثمينة دفع الرجل ثمنها في الغربة سنوات طويلة، وتعب من أجل إحضارها فاليوم تشربت دمائه بسماجة شديدة، أخذت تصرخ كالمجنونة بهيستريا وهي ترى ما فعلوه بعريسها، لماذا لم تسقط فاقدة الوعي الآن، يختلف هذا العقل البشري في تكوينه بين البشر وبين ردة فعل كل إنسان والآخر إن تعرض لنفس الموقف المرعب والضغط النفسي الشديد.

لقد أخذت العروس تصرخ بهيستريا وأسرعت تركض لتنجو بحياتها وهي تعتقد بأن القاتل مازال بالشقة وسوف يقتلها، فتحت باب الشقة بثوب النوم وهي تصرخ كالمجنونة، ولا تتكلم وعندما التف الجيران من حولها وخرجوا من منازلهم يتسائلون بفزع عما حدث، هنا فقط استوعب عقلها أنها بأمان وسوف يحميها الجيران من المجرم الطليق بالشقة الذي قتل زوجها بتلك الطريقة فسقطت فاقدة الوعي تحت أرجلهم ولم تتكلم بل أشارت إلى باب الشقة.

***

رجال بحث جنائي مفتشون لرفع البصمات، مخبرون يحومون حول المنطقة يسألون لقد كانت حالة الجثة صعبة جدا تلك المرة مع بقر البطن وإخراج ما بداخلها من أحشاء

وهو نفس ما حدث لجثة الدقي بالقاهرة، لقد تحولت شقة العروسان لحالة من الفوضى العارمة من رجال بحث ورجال شرطة ومسعفون يرفعون الناس، الكثير من الجيران لم يتحملوا بشاعة المنظر فسقطوا فاقدين الوعي من الصدمة ولم تستطع الجهود الذاتية لإفاقتهم، وكأن هناك حالة من الفوضى وفيروس طليق يجعل الناس يفقدون وعيهم في لحظات، أخذ المسعفون يحاولون إفاقة الناس منهم من استجاب ومنهم من لم يستجب فنقل للمستشفى، حالة عارمة من الفوضى والذهول الشديد والوجوم، كان العريس معلق من أقدامه كالذبيحة بخطاف من الحديد مغروس في لحم القدم المحروق، والرقبة مفصولة عن الرأس ومازالت ملتصقة بتلك القطعة الصغيرة كالقشة التي ينتظرها الغريق لتنجده، وقف رجال البحث الجنائي يلتقطون البصمات والكثير من الصور لجثة الرجل ولتلك الجملة المحفورة بشيء حاد على صدره:

«سأفعل ما تريدون جميعا - سأعود إليكم»

١٥من يوليو محافظة القليوبية

شبرا الخيمة، الساعة الثالثة فجرا

استيقظ سكان أهالي منطقة عزبة عثمان بشبرا الخيمة على تلك الصرخات الهيستيرية المتتالية التي شقت سكون

الليل كصواعق من السماء، وبعدها صوت إرتطام قوي بالشارع، خرج الناس في تلك الحارة الضيقة لمعرفة ما حدث فصدموا من رؤية الفتاة ساقطة على وجهها في الشارع بثوبها الأبيض، خرج الجميع من بيوتهم وكانت المفاجأة لقد كانت العروس الجديدة التي كان عرسها وزفتها منذ أقل من ساعة مضت وكان الجميع يشاهدها وهي تخرج من السيارات المزينة بالورود الحمراء من الشرفات والنوافذ وهي بثوب الزفاف الأبيض، والآن هي ملقاة على الأرض ومازالت بنفس الثوب الأبيض لم تنزعه عنها بعد، لقد سقطت من الطابق الخامس حيث شقتها ولكن لا أحد يعرف ما الذي حدث بالضبط، ولكن أين العريس، فلم يظهر وهل هو من ألقاها من الشرفة، أسئلة عديدة كانت تراود الناس وعقولهم فما الذي حدث ولماذا تنتحر العروس ليلة زفافها الكثير والكثير من الأفكار السيئة التي تجول بخاطرهم بخصوص العروس وألف ظن وظن سيطر على عقولهم في تلك اللحظة،إتصلوا بالشرطة التي حضرت على الفور خلال دقائق قليلة فلقد كان قسم شرطة قريب من المنطقة، واتصل أهل الخير من الجيران بأهل العروسان وكانت المفاجأة صادمة عندما اقتحمت قوات الشرطة شقة العروس مرة واحدة بحثا عن العريس الذي كان الجميع يتهمه بقتلها وإلقائها من الطابق الخامس بلا رحمة.

ولكنهم ابتلعوا ألسنتهم في أفواههم وصمتوا من الصدمة ومن هول ما رأوا، لقد كان العريس مذبوح من رقبته ومعلق في منتصف غرفة النوم كالذبيحة، محترق الأعضاء السفلية حتى القدمين، ومقطوع الكفين تماما وبطنه مبقورة وأحشاء متدلية من داخلها بصورة دموية للغاية، فلقد كانت الدماء تلطخ الجدران وتلونها بشكل صعب للغاية ومرعب ويتكرر السيناريو الكئيب بكل تفاصيله ولكنه أكثر بشاعة ودموية تلك المرة، وتحطم كامل لغرفة النوم وتحطيم كل الأثاث، والفراش مقلوب رأس على عقب، وكتب على صدر الرجل العاري نفس الجملة «سأفعل ما تريدون جميعا - سأعود إليكم»

محفورة بسادية شديدة على صدره بشيء حاد، لقد كانت الجثة هنا أشد سوء وفي حالة مزرية عن الجثث الأخرى، فالجثة الأولى لم يستخرج العينين والجثة الثانية أخرجهما ولكن لم يتم إستئصالهما، أما هنا لم يكتفي القاتل بسرقة الكفيين ، بل لقد قام بإخراج العينين أيضا من مقلتيها ، وترك مكانها تجويف فارغ، ، كما انه قام ببقر بطن الجثة لتخرج أمعائها وأحشائها بسماجة على الأرض في منظر مقزز جدا، كانت الجثة معلقة ومازالت الرأس ملتصقة بالرقبه بقطعة جلد رقيقة جدا والكثير من الدماء على الفراش والأرض، والكثير من تلك المادة البيضاء بالغرفة تشبه المسحوق.

أخذت أم العريس تصرخ بهيستريا كالمجنونة وهي تردد وتنوح:

إنها العروس الشؤم كنت أكرهها كالموت وقلت له ألا يتزوجها فهي شؤم وقدمها كالغراب ولكنه لم يسمعني، لقد قتلت إبني.

وهنا تدخلت أم العروسة الملتاعة لموت ابنتها هي الأخرى فلقد ماتت العروس بعد سقوطها من الطابق الخامس على وجهها وكانت تنزف والدماء تغرق أرض الشارع وثوب زفافها الأبيض:

لقد قتلها اللعين كنت أكرهه ولكن هي أصرت على الزواج منه وقالت لي بأنها تحبه، أخبرتها بأنني لست مستريحة له ولا لأمه الشمطاء كالعقرباء والحرباية تتلون بألف لون وشكل.

أخذت تصرخ وتدعي وأم العريس تصرخ وتولول وترد عليها، وأشتبك العديد من أهل العريس مع العديد من اهل العروس وتدخلت الشرطة لفض النزاع بينهما وفرقتهما، وكلامنهما بداخله نار حامية وبراكين ثائرة ستحرق الجميع وتحولها لرماد في أي لحظة.

أمر المحققون الجنود بإبعاد المرأتان والأهالي من المنطقة

وإخلائها حتى يتفرغوا للتحقيق، وأخذ رجال البحث الجنائي في عملهم ورفع البصمات والتقاط الصور من كل زاوية، كان الجميع يشعر بالوجوم والبشاعة،وصل المحققان أدهم وسليم من مباحث أمن القاهرة، بعد مكالمة هاتفية من اللواء بهجت عز الدين مساعد وزير الداخلية، لقد اتصلا بهما الرجل ليتابعا التحقيق في جريمة القتل فلقد كانت نفس طريقتي القتل السابقة بالدقي وفيصل، ويبدوأنه نفس القاتل المجنون فنفس طريقة القتل والبشاعة واحدة.

ولكنه في كل مرة يضيف شيئا جديد للضحية، وكأنه يتعلم كل مرة شيئا جديد عن تعذيب الجثث ويود تطبيقه عملي على الجثث، وكان أدهم من أكفأ ضباط الشرطة ومشهور عنه بالذكاء والشجاعة النادرة بالإدارة لذلك اختاره مساعد وزير الداخلية بنفسه ليتولى أمر تلك القضايا الغامضة لقتل العرسان ومعرفة ما الذي يحدث بالضبط وهل هناك صلة ورابط بين الثلاث جرائم المتتالية؟!

***

(٢)

١٥من يوليو ٢٠٢٠

الساعة الخامسة فجرا

الكثير من الجثث متناثرة هنا وهناك في منظر دموي بشع جدا تعجز كتب الرعب عن وصفه بدقة، طريق طويل مرصوص فيه الكثير من الأجساد الدامية على الجانبين، صف لرجال يرتدون بزات سوداء كاملة وربطات عنق حمراء بلا رووس، بل شلالات من الدماء تتدفق مكان الأعناق، فالرؤوس مفصولة عن الأجسد ببجاحة شديدة ولا مبالاة وموضوعة أمام الجسد والدماء مازالت تخرج بغضب من الأعناق، والصف الآخر المقابل لهم كان صف لفتيات جميلات يرتدين اجمل الأثواب البيضاء للزفاف، ولكن ذيولها ملطخة بالدماء ولكنهن يبدن نائمات ،فمازالت رؤوسهن ملتصقة بالأجساد كما هي لم تقطع كالرجال فكيف تقطع رؤوس تلك الفراشات الجميلات، صف طويل لا تستطع العين أن تصل لنهايته.

الكثير من الأجساد الدامية والأثواب الغارقة في الدماء على الجانبين، القدم مقابل للقدم الأخر والكتف ملاصق للكتف الأخر، في تلاحم غريب وكأنه يوم الحشر العظيم،

وكان ذلك الظل الأسود يسير متلفحا بالسواد الشديد، ليست له أي ملامح واضحة، كان عبارة عن ظل أسود فقط فكل ملامحه مبهمة، غريب جدا ذلك الشعور أن ترى وجها أمامك يقترب منك، ولكن لا تستطيع وصف ملامحه وتفاصيله، فتقف حائر هو أمامك ولكن لا تعرف كيف تصفه، اقترب الظل من أقرب الأجساد لها، أخذ يتفحص الجسد الدامي لذلك الشاب المسجى على الأرض، فاردا ذراعيه وأقدامه أمامه، تشمم الهواء بطريقة غريبة وبعدها انحنى على ركبتيه، ولم يهتم بتلك الدماء الكثيرة على الأرض، وبعدها رفع إحدى أذرع الجثة وأمسك كف اليد وقام بقطعه مرة واحدة بتلك السكين الكبير، التي كان يحملها باليد الأخرى، وبعدها قطع اليد الأخرى وقام بربط اليدين ببعضهما البعض بأحد الخيوط وعلقها في رقبتها كالقلادة، وامتد يده ليدخل صدر الجثة ليستخرج القلب ويعتصره بقوة بين يديه ووقف ثانية واحدة متأملا تلك الدماء المتجلطة مكان اعتصار قلب الرجل، وبعدها انتقل للجثة الأخرى وقام بقطع اليدين كما فعل للأولى واخترق الصدر ليستخرج القلب من جديد ويعتصره كما يعتصر الليمون ليخرج تلك العصارة بداخله، وكرر ما فعل بكل الجثث حتى أصبح يحمل الكثير من الأيدي المبتورة التي مازالت تقطر الدماء الغزيرة، وكان الظل الأسود يعلقهم على صدره في صورة غريبةومقززة بشدة،

كان الظل يسير بخطى ثابتة والكثير من الأيدي المعلقة حول رقبته مربوطة ببعضها البعض كباقة الوردفي فصل الربيع .

لم يلتفت الظل الأسود إلى أجساد الفتيات الملقاة على الأرض، بل كان كل تركيزه مع جثث الرجال، يقطع أيديهم باستمتاع ونشوة كبيرة.

حتى وصل الظل الأسود لآخر جسد نائم على الأرض وقام بقطع يديه مرة واحدة، ولكنه لم يكتفي فقام بشق ثيابه، وبعدها قام بقطع أرجله أيضا باستمتاع ومن بداية الفخذ كانت صدى ضحكاته الهيستيرية عالية ومزعج، رفع الظل أرجل الرجل كاملة بعد أن أخرجها من بنطالها الأسود، أمسكها عارية مليئة بالشعر بين يديها، قام بقطع جزء من لحم القدم السفلية، وبعدها الأصابع الخمس للقدم كلها، وبعدها وضعهم في وعاء من الزجاج كان موجود على إحدى المناضد العالية، وبعدها ألقى رجل الرجل بعيدا بلامبالاة. وكأنه إكتفى بقطعة اللحم وأصابع القدم الخمس ولم يعد له حاجة بأرجل الرجل، انتقل للرجل الأخرى، وقام بفعل ما فعله بالرجل الأولى، وبعدها انتقل للجثة الثانية، يبدو على الجثة الصدمة الشديدة والألم، هل مازال الرجل حيا، هل مازال يشعر بالألم والعذاب رغم قطع يديه بقسوة ورأسه، هل

قام الجسد ليجلس بذعر بلا رأس وكأنه ينظر لرأسه ويديه المقطوعة بذعر وبعدها يصرخ الرأس على الأرض بصوت عالي متألما لا يصدق ما يحدث فيه وكأنه يستنجد بأحدهم، هل الصرخة كانت عالية لدرجة أفقدت الظل الأسود توازنه فسقط على الأرض بغيظ كبير، وتناثرت الأيدي المبتورة من حوله في مشهد غريب وساخر وقف الظل بعدها بسرعة ينظر إلى كل تلك الأيادي من حوله بغضب، لقد كان كقلب الوردة ومن حولها وريقاتها الرقيقة الهشة..

وهنا فتحت هي عينيها مرة واحدة بذعر وألم وهي تسمع آذان الفجر يردد الله أكبر .. الله أكبر وتحاول أن تردد ما تحفظه من القرآن الكريم وآيات الذكر الحكيم، كانت تتصبب عرقا غزيرا باردا، وتشعر بالبرد الشديد والحمى في نفس الوقت فداخلها نارا وخارجها ثلج ورماد،وكان كل شيء أسود أمامها حتى بعد أن فتحت عيونها البيضاء تماما والخالية من الحياة مازال السواد يحيط بها .

شعرت الحاجة روحية الشواف بالألم الشديد في صدرها والغصة في حلقها الجاف، قامت من فوق فراشها تحاول أن تتسند على الجدران حتى تدخل دورة المياة، كانت بحاجة ملحة لإفراغ ما في جوفها، فلقد كانت تشعر بالتقزز وكأن ما شاهدته كان حقيقي وليس كابوس بشع راودها في أحلامها

ومنامها، ولم يكن حقيقي ولكنها تعلم بأن ما تراه في أحلامها النادرة يكون صادق دوما وحقيقي وله معنى ودلالة .

دخلت دورة المياة أفرغت كل ما في جوفها من عصارة صفراوية فلم يكن هناك شيء بالمعدة لإخراجه فلقد إعتادت العجوز على النوم بعد صلاة العشاء مباشرة ، وتناول القليل من الطعام ، حتى لا تهاجمها الكوابيس، وبعدها ، وبعدها ذهبت تتسند على الجدران تحاول ألا تصطدم بأي شيء في طريقها فلم تعد لياقتها البدنية، تسمح لها بفعل الكثير مع تقدمها بالسن فلقد تجاوزت العجوز السبعون عاما،وفقدت بصرها منذ سنوات عديدة مضت ولكنها تأقلمت على حياتها الجديدة، لقد كانت المرأة ضحية لأحد القتلة المختلين عقليا الذي يعشق تعذيب الأجساد والسادية المفرطة، ليحرر الأرواح العالقة فيها، وتحصل على حريتها كروح حرة طليقة فالجسد فاني والروح باقية بالنهاية، لم يرحم القاتل السيدة العجوز ولم يتعاطف مع شعرها الأبيض وسنها الكبير، ولكن العقل المريض لا يعرف كل هذا لا يعرف سوى التعذيب والنشوة بالسادية وسماع صرخات الألم من الآخرين عالية ولكنها رغم كل هذا قد نجت في النهاية.

لقد نجت روحية بعد هجوم حاد عليها أدى لإصابتها بسبع و عشرون طعنة وكسر مضاعف في جُمجمتها مع ضياع ربع

الجمجمة، بعد ضربها بمطرقة من الحديد على يد الدرفيل وهو سفاح مخبول، مثله مثل معظم السفاحين والسايكو، لقد أصبح شكلها بشع جدا ومرعب وخيل للجميع بأنها ماتت يومها ولكنها بقدرة الرحمن نجت بمُعجزة من السماء، ولسبب لا يعلمه إلا الله وحده، نعم هي لم تنج تماما ولم تعد كما كانت من قبل في الحقيقة، لقد فقدت بصرها تمامًا كما فقدت ربع جمجمتها، ولكنها مع ذلك لم تفقد آداميتها و اكتسبت قدرة جديدة وموهبة نادرة عوضها الله بها عما حدث لها، وهي رؤية الأمور الخاصة بعالم الأرواح في منامها، لقد أصبحت العجوز أكثر روحانية وروحها أكثر شفافية.

وكل أحلامها في الغالب تكون لها تفسير ومعنى، لذلك أطلقوا عليها الحاجة روحية الشوَّاف..

الشوَّاف لأنها ترى ما لا يستطيع أحد أن يراه غيرها من البشر بروحانياتها العالية، أمسكت هاتفها الجوال من فوق المنضدة فهي تحفظ مكانه عن ظهر قلب، وأعادت الاتصال لآخر رقم طلبته، فلم يكن بهاتفها أي أرقام سوى أرقام محددة، فالجميع ابتعد عن العجوز الغامضة العائدة من الموت بأعجوبة.

ولم يكن لها أحد سوى هؤلاء المخابيل الثلاثة الذين تعرفت عليهم في مسقط رأسها عندما حضروا لتحقيق في

قضية سفاح القطط المهوس عادل ممدوح، وبعدها أخذوها معهم إلى القاهرة لمساعدتهم في إعادة الأرواح إلى مكانها وغلق تلك البوابات الزمنية التي فتحوها وإعادة أرواح السفاحين الذين خرجوا وقت تحضير إحدى الأرواح.

ولقد استأجر لها رأفت وهو أحد أفراد فريق الجمعية شقة صغيرة لتعيش فيها، وكانت الحاجة روحية تتعامل معهم كأبنائها وتحبهم، وتساعدهم وابتعدت عن الجميع، لمساعدة هؤلاء الشباب الثلاثة الذين في عمر أبنائها وهم رأفت، موسى وزينب.

وهم مجموعة من الشباب المُهتمين بالماورائيات والغرائب، و في أحد الأيام قرروا القيام بجلسة تحضير أرواح عن طريق الشيخ كرم الذي حضر لهم روح سفاح وفتح عليهم بوابات الجحيم، وحرر أرواح أكثر من روح سفاح ورفضوا الرحيل عن عالم الأرض قبل ان ينهوا ما بدأوا في عالم الأرض فمازالت أرواحهم عالقة، وكان هذا بسبب موسى وسرعتة المتهورة دوما، فلم يلتزِم بالشروط الخاصة بجلسة التحضير.

فأغضب روح السفاح، فقام بفتح بوابة بين عالمنا وعالم الأرواح الشريرة للقتلة المتسلسلين، ووقتها استعانوا بها لمساعدتهم، وأصبحت العجوز نقطة الإتصال بين العالمين

عالم الأرواح وعالم البشر.

فروحية قد رأت الموت بعينيها وربما ماتت يومها ورحلت روحها لمكان آخر، قابلت من قابلت وتعرفت على من تعرفت وعادت للحياة من جديد مختلفة أكثر روحانية وحكمة في الحياة، فامتلكت تلك الصفة الشفافة لرؤية ما لا يستطع غيرها رؤيته عن عالم الأرواح والموتى أثناء نومها، أو موتتها الصغرى كما يسمونها، فالنوم هو الموتة الصغرى للإنسان يقابل من يشاء فيها من الأرواح.

وبعدها قرّرت الحاجة روحية مُساعدتهم من أجل الانتقام من روح القاتل الذي تسبَّب في فقدها لبصرها الدرفيل، هي تريد روح ذلك الوحش الكاسر، لذلك انضمت معهم لمساعادتهم لإرجاع أرواح السفاحين لعالمهم وترك الأرض، ومنذ انضمامها لهم وهي تعلم جيدا أن كل حلم تراه في منامها له صلة وعلاقة وطيدة بتلك الأرواح الشريرة التي خرجت بالخطأ للأرض، وكل حلم هو مصيبة جديدة وتحرير روح شريرة لعالم الأرض مرة أخرى، فهي كقرون الإستشعار للخطر والحوادث من قبل أن يعرف عنها أحد.واليوم قد رأت رؤية بشعة للكثير من الأجساد، وهي متأكدة بأن هناك سفاح طليق، يقتل ويسفك الدماء ولا أحد يعرف عنه شيء، ولابد من إخبار أفراد الجمعية بالأمر، فبسبب خطأهم الفادح

الجميع في خطر، وربما هي أكثر شخص حياته مهددة وفي خطر فهل هي روح الدرفيل الذي حاول قتلها يومها منذ سنوات و لكنه فشل، هي لم تر له ملامح ولكنه كان عبارة عن ظل أسود يتحرك بسرعة كبيرة، والكثير من الأجساد الدامية والأياد المقطوعة والكثير من الدماء في كل مكان.

كانت تشعر بالألم الشديد وتلك الوخزة فى قلبها، تشعرها بأن هناك شيء شرير حدث وطاقة سلبية متشبعة في الجو، فالروحانيون يشعرون بتلك الذبذبات والطاقات السلبية أكثر من غيرهم، أعادت اتصال الهاتف من جديد، وسمعت من الطرف الاخر صوت نائم يقول:

_ الحاجة روحية هل أنت بخير؟

ردت بصوت متقع متوتر قائلة:

_ هناك خطر شديد يا أبو المكارم، ألم تشعر به من حولك يا ولدي، أنا أنتظركم في المنزل، وهنا نظر موسى ببلاهة وهو يفرك عينيه إلى ساعة الهاتف الجوال لقد كانت الساعة السادسة صباحا، هز رأسه بغضب وهو يقول:

_ انتظري حتى نستيقظ يا حاجة روحية فمازال الوقت مبكرا، وكنا نسهر أمس حتى الثالثة فجرا في المطعم ولكنها كانت قد أغلقت الهاتف، حتى لا تسمع تلك الجملة منه فهي

تعرف جيدا بأنهم كانوا معا حتى وقت متأخر من ليلة أمس في المطعم الذي يديرونه معا هم الثلاثة، وتعرف أبو المكارم وحبه للنوم والراحة، ولكن رغم ذلك يعتبر موسى هو الأقرب إليها في المجموعة، ربما هو ليس أذكى شخص في العالم، و لكنه شجاع ومقاتل فريد ولا يهاب شيء، يحل الأمور بذراعه في البداية ثم يفكّر بعدها، أوقات كثيرة يؤدي تهوره الشديد وتعامله مع الأمور بقوة لحل المشكلات، وأحيانًا يورِّط الفريق كله في مزيد من المشاكل، لديه حاسة سادسة يعرف بها الكثير من الأمور الخفية، هو نفسه لا يعرف مصدر تلك الحاسة السادسة، فأحيانا يستطيع أن يقرأ أفكار شخص ما، وأحيانا يرى ويتوقع المستقبل في أوقات كثيرة.

ولكن هذه القدرة دائمًا ما تأتيه منقوصة وبشكل غريب لا يفهمه سوى روحية.

لتكمله له لذلك هما الإُثنان يكملان بعضهما البعض وحدسهما لا يخطىء في الكثير من الأحيان فأبو المكارم يرى المستقبل وأشياء كثيرة تحدث.

لذلك تحب أن تتواصل به هو أولا لأنها تعرف بأنه سيعرف وسيحس بما ستقول، جلست الحاجة روحية على المقعد وهي تلف رأسها بشالها الأسود لتداري ذلك الكسر الواضح وبشاعته وهي تحاول أن تركز في تفاصيل رؤيتها لعلها

تخرج بشيء مفيد يفيدها في تلك القصة.

***

جلس موسى على الفراش وهو يشعر بالضيق الشديد فهو يريد النوم الآن ويشعر بالإرهاق الشديد والتعب، لكنه يعلم أيضا أن أحلام روحية ورؤيتها حقيقة مؤلمة ولا يستطيع أن يتجاهلها، ولا ينكر هو أيضا يشعر بشعور سيء منذ ليلة أمس يشعر بانقباض في الصدر والضيق الشديد، هز رأسه وقام بالاتصال بصديقه رأفت، وقال له بعصبية:

_ رأفت.. ارتد ثيابك وقابلني أسفل منزلك خلال عشر دقائق سأمر عليك بالسيارة هناك مصيبة جديدة، والحاجة روحية تريد رؤيتنا، اتصل بزينب وأخبرها أن تأتي لنا عند منزل الحاجة روحية، فيبدو الموضوع خطير جدا، وبعدها أغلق الهاتف حتى لا يسمع شيء فلم يكن يريد سماع أي شيء، ولم يكن في حالة مزاجية تسمح له بأن يتحدث مع أحد في تلك اللحظة، وهو يعرف بأن رأفت رغم ذكاءه الشديد إلا أنه قليل التركيز ولابد من إعادة الكلام أكثر من مرة حتى يستوعبه، و رغم ذلك يستطيع تحليل أمور هامة وغير ملحوظة للجميع، وهذا يفيدهم في مسارح الجريمة دوما، فهو يحلل مسارح الجريمة سريعًا ويصل لحلول غير متوقعة يساعد بها الفريق كله.

تثائب رأفت كثيرا ووضع رأسه على الوسادة من جديد، كان يود النوم فهو يشعر بالإرهاق الشديد والتعب ولكنه تذكر موسى بعصبية، فربما جاء ولكمه في وجهه بقوة ليحوله للحم مفروم، نهض بتكاسل وهو يهرش في شعره وسار إلى دورة المياة حتى يغتسل سريعا، ويرتدي ثيابه بسرعة، وبعد الإنتهاء تذكر بأنه لم يتصل بزميلتهم الثالثة زينب الراعي، زفر بغيظ وهو يردد:

_ لماذا يطلب مني موسى الاتصال بزينب لماذا لم يتصل هو بها ويريحني، فلن ترد بسهولة على الهاتف أعرف، فلن تستيقظ إلا بعد سنين؟

اتصل بها ومن أول رنة فتحت الخط وسمع صوتها الناعس يقول:

_ ماذا تريد يا رأفت في هذا الوقت؟

ابتسم رأفت بسماجة وقال بدهشة:

_ لا أصدق أن تستيقظي مبكرا أيتها الحمقاء فماذا حدث؟

ردت زينب بغيظ وهي تقول:

_ ومن أخبرك بأنني نمت من الأساس أيها البدين؟

رد رأفت بدهشة:

ـ هل مازلت مستيقظة من أمس يا زينب ولم تنامي بعد يا مجنونة ستجنين قريبا؟

ردت بإرهاق وهي تتثائب بكسل:

ـ نعم يا رأفت لم أنم بعد فذلك اللزج حسنين ابن خالتي كان يتحدث معي ويحكي لي عن بعض الأمور الخاصة بعمله وأنا أضطر لسماعة مرغمة، ضحك رأفت بسماجة وهو يردد:

ـ هل بدأ قلبك يدق له يا زينب وستوافقين أخيرا على الارتباط بذلك المتعوس سيء الحظ، زفرت بغيظ وهي تردد بصوت عالي:

ـ اخرس يا رأفت ولا تضايقني، فأنت تعرف بأنني لا أطيقه ولكنني أضطر أن أتحمل ثقل ظله وسخافته من أجل ما فعلناه لنحل المشكلة، و حتى ننهي تلك المسألة ونصلح ما فعلناه فأنت تعرف جيدا بأن حسنين هو من يساعدنا ويمدنا بالمعلومات عن الملفات الغامضة من الأرشيف، فلا تنسى ما أفعله من أجلكم يا أحمق ولا تضايقني، فأنا أشعر بالذنب كل مرة، عندما أعطي الأمل الزائف لذلك التعس، وأنا لا أكن له أي مشاعر حقيقية بل كلها بغض وكراهية.

لم يرد رأفت لأنه يعرف ما تعانيه داخليا من شعورها بالذنب لاستغلال مشاعر الرجل وإحساسها بالذنب

والمسؤلية لما يحدث من جرائم قتل وإزهاق للأرواح الأبرياء بسببهم وهي في النهاية فتاة رقيقة لا تتحمل الضغط، ولن يضغط عليها أكثر من ذلك حتى لا تنفجر الفتاة في وجهه.

فهي عضو هام جدا في الفريق وفعال ولها تأثير كبير وربما هي الأهم بالفريق كله فهي مصدر المعلومات وفريق الاستخبارات، رغم أنها فتاة متوسطة في كل شيء، لكنها تفيد الفريق عن طريق ابن خالتها الذي يحبها كالمجنون وينصاع لما تقوله بلا تفكير ولا عقل، فيسمح لها بمعرفة تفاصيل ملفات إحدى الجهات الحكومية التي يعمل فيها، ويخبرها قصص الملفات الخاصة بالقضايا القديمة بالأرشيف الذي يحفظه عن ظهر قلب نتيجة عمله فيه، وكل هذا مقابل ابتسامة رضا فقط منها ونظرة دلال، رغم أنها فتاة متوسطة الجمال والملامح ولكن مرآة الحب عمياء كما يقولون، فالشاب يعشق الفتاة بجنون كما كان يعشق قيس ليلى وعنتر عبلة، ويخبرها كل شيء وتقوم دوما بحل ألغاز وشفرات أحلام روحية الشواف وتصل دوما لحل الكثير من الرموز وفك شفراتها.

قال رأفت بجمود وآلية:

_ ارتد ثيابك سريعا وأراك عند الحاجة روحية في الحال يا زينب فيبدو أن هناك روح جديدة تحررت، والحاجة روحية

تريدنا الآن فالموضوع خطير ولا يتحمل التأخير، وداعا..

وبعدها أغلق الهاتف حتى لا يسمع تزمرها واعتراضها على ما قال، فلم يكن هناك وقت للنقاش، زفرت هي بغضب ولكنها ذهبت لترتدي ثيابها، فهي تعلم بأن الحاجة روحية أحلامها دوما صائبة، وهناك الكثير من أرواح الأبرياء مهددة وفي خطر كبير وكل هذا بسببهم وبسبب جلسة الأرواح الخاطئة التي قاموا بها يومها.



***



(٣)

جلس الثلاثة أمام الحاجة روحية يستمعون لها بأهتمام، قصت عليهم ما شاهدته وتلك الجثث الكثيرة للرجال والنساء على الضفتين، استمعوا لها بتوتر وهم يحتسون أقداح القهوة، أشعل موسى سيجارة وأخذ ينفث دخانها بعصبية كبيرة،فما تقوله العجوز شيء مرعب وبعد الانتهاء من الرؤية نظروا لها، وهم ينظرون بعضهم لبعض، فقالت زينب بتوتر:

_ هل تتذكرين عدد الجثث يا حاجة روحية؟

_ لا أعرف و لكن أعتقد بأنهم كانوا أكثر من عشرين في كل صف، فالصف كان طويلا يا بنيتي !

سأل أبو المكارم بتوتر:

_ وهل كلهم كانوا أموات؟

ردت الحاجة روحية بشرود:

_ نعم الجميع كانوا أموات وبلا رووس يا ولدي ومع ذلك لم تقطع إلا أيادي الرجال وأصابعهم في الرؤيا، لم تلتفت الروح لجثث النساء وربما كانت النساء على قيد الحياة ونائمات فقط لا أعرف.

قاطعها رأفت وهو يضع قدح القهوة قائلا:

ـ ربما لم يعجب القاتل بالأيادي الناعمة لسبب ما، وهنا ضحك موسى بعصبية وهو يطفأ عقب سيجارته في مكانها وهو يردد:

ـ لا أعرف بدون ذكائك أيها البدين ماذا كنا سنفعل اليوم؟

قاطعتهم زينب وهي تهز رأسها بلا، فليس هذا وقت ولا مكان للشجار والشد والجذب فقالت:

ـ ربما القاتل يقتل الرجال فقط دون النساء ولكن لما ظهرت جثث الفتيات بالرؤية هناك سبب لذلك.

قاطعتهم روحية وهي تقول:

ـ ولكن أنا أشعر بأن تلك المرة ليست روح قاتل أبدا.

نظروا لها بدهشة وقال رأفت:

ـ لا أفهم ماذا تعنين يا حاجة روحية بأنها ليست روح قاتل؟

ردت هي بشرود:إنها روح قاتلة هذا ما أشعر به.

صمتوا جميعا وهم ينظرون لها بدهشة وهل هناك سفاحين وقتلة متسلسلين نساء في مصر.

رد موسى قائلا:

_ ولكنني لم أسمع عن قتلة متسلسلين من النساء في مصر القرن الماضي.

فقالت زينب بغيظ:

_ تحتاج الذهاب لطبيب إذا يا أبو المكارم، ألم تسمع عن ريا وسكينة، فالنساء تستطيع فعلها إن أرادت ياعزيزي لن يوقفهن شيئا..

قاطعهم رأفت قائلا:

ولكن ريا وسكينة كانوا جماعة إجرامية ومعهم رجال لمساعدتهم في التخلص من الضحايا، هم لم يفعلوا شيئا بأيديهم كان الرجال هم من يقومون بعمل كل شيء من قتل ودفن، كانت ريا وسكينة تسحبان النساء فقط، ولكننا هنا نتحدث عن قاتل واحد ارتكب العديد من الجرائم بمفرده ولم تكتشفه الشرطة لذكائه وقوته، ولا أعتقد أن يكون القاتل امرأة أبدا، فالنساء معروف عنهن الرقة والوداعة ولن يستطعن فعلها. صاحت زينب مرددة بعناد: ولكنهن إن أردن فعل شيء لا يوقفهن أحد ويستطعن العمل في أي مجال، أنت لا تعرف قوة المرأة!

قاطعها موسى ساخرا:

_ تتحدثين وكأنهن سيعملن في السلك الدبلوماسي وليس في القتل والتقطيع وتمزيق الجثث يا زينب، فهن فاشلات في... وهنا قاطعتهم الحاجة روحية بغضب قائلة:

_ ألا تكففن دوما عن تلك السخافات ألا تشعرون بالخطر بسبب فعلتكم يا حمقى، أنا أشعر بأنها روح امرأة وليست رجل تلك المرة لا أعرف لماذا، فطريقة سيرها كانت مختلفة وحتى طريقة نظراتها للجثث، أقسم لكم بأنها ليست روح رجل أبدا، وإن كان ما أشعر به صحيح فالقادم أسوأ وأشد سواد، فالمرأة عندما تفقد آدميتها وتتحول لأداة للقتل تكون أكثر قسوة وبشاعة من ألف رجل، لأنها وقتها ستفعل كل شيء بدهاء ولن تترك التفاصيل الصغيرة التي دوما ترشدنا لمعرفة روح القاتل وما تخفيه عن الجميع.

_ ماذا تقصدين يا حاجة روحية لا أفهمك اليوم! هكذا قالت زينب بتعجب.

قالت روحية باقتضاب:

_ ما أقصده هو أن القادم أسوأ مما تظنون بكثير، لأنني أعتقد بأن تلك الروح عادت وقامت بقتل العديد من الأبرياء، فأنا أشعر بتلك الطاقة السيئة والسلبية تملأ الهواء.

قال موسى بحيرة:

ـ ولكنني لم أسمع بأي خبر لجرائم قتل في اليومين الماضيين، فكما تعرفون أنا أتابع كل الأخبار بصورة يومية ولم أسمع أي خبر عن جرائم قتل غريبة حدثت الفترة الماضية. ردت روحية:

ولن تسمع يا أبو المكارم أي خبر في الصحف والجرائد، لأنني أعتقد بأن طرق القتل تلك المرة أكثر بشاعة من أن يتم الإعلان عنها بدون معرفة القاتل، حتى لا يثيروا الرعب والفزع في نفوس الناس يا ولدي.

صمتوا جميعا وهم ينظرون للحاجة روحية أن تكمل، فما تقوله منطقي جدا ولكن كيف سيعرفون، أكمت الحاجة روحية وهي تقول:

ـ زينب أنت الوحيدة التي تستطيع أن تعرف، عن طريق حسنين ابن خالتك، لنرى بعد ذلك من أين سنبدأ.

فقالت زينب بفتور:

ـ ماذا تريدون أن تعرفوا؟

ـ اسأليه هل هناك أي جرائم قتل حصلت تلك الأيام والشرطة تخفي الأمر، هو يستطيع أن يستعلم من خلال أصدقائه بوزارة الداخلية من الشرطة فله الكثير من المعارف

يا ابنتي، وبعدها نقرر من أين سنبدأ.

أكمل رأفت بشرود:

_ واسأليه بالأخص عن جرائم قتل لعرسان، لأن ارتداء الجثث لثوب الزفاف وبزات الفرح ليس صدفه على ما أظن.

_ هذا ما أظنه أنا الأخرى يا ولدي، فلكل شيء تفسير وسبب في أحلامي أعرف ذلك ودلالة لشيء أخر، ردت زينب بآلية:

_ سأتصل به وأعرف كل شيء ولكن ليس الآن فالوقت مبكر، وسوف أخبركم كل شيء عصرا عندما نلتقي في المطعم.

وبعدها رحل كل منهم إلى بيته وهو يفكر في الأمر وقرروا أن يجمعوا معلومات ويبحثون في الأخبار من جديد ربما عثروا على شيء جديد وبداية الخيط الذي سيدلهم على روح القاتل الجديد، حتى يلتقوا في المطعم الذي يديرونه هم الثلاثة وتلك الغرفة السرية التي يجلسون فيها معا يشاهدون أفلام الرعب ويتحدثون...

***

اتصل موسى بزينب على هاتفها الجوال ليخبرها بأنها لابد

أن تحضر في الحال إلى منزل الحاجة روحية الآن فكلهم في انتظارها قبل الذهاب للمطعم، أخبرته بأنها لم تتصل بحسنين بعد، فأخبرها بألا تتصل حتى تحضر إليهم أولا، حاولت أن تفهم ما الذي حدث خلال الثلاث ساعات التي نامت فيهم ولكن أبو المكارم لم يمهلها الوقت الكافي بعصبيته المعهودة، وأغلق الهاتف.

غسلت زينب وجهها ولحسن الحظ كانت مازالت بملابسها لم تبدل ثيابها بعد، مشطت شعرها سريعا، وتناولت قرص مسكن للصداع وغادرت المنزل أمام دهشة والديها فلم تنم جيدا.

قالت باقتضاب:

_ عمل هام بالمطعم..

وبعدها أغلقت باب الشقة ولم تنتظر أي رد منهم، استقلت سيارة أجرة من أمام المنزل وهي تشعر بالإرهاق الشديد، وصلت لمنزل روحية وكانوا جميعا في انتظارها وكان يبدو عليهم الوجوم، فعرفت بأن مصيبة قد حدثت، فقالت لهم:

_ كم شخص قتل؟

رد موسى بعصبية:

ـ أربعة اشخاص، ثلاث عرسان وعروسة في ليلة زفافهم؟

ردت زينب بذهول:

ـ عرسان في ليلة زفافهم وكيف عرفتم؟

رد رأفت:

خبر ناقص في أخبار اليوم عن مقتل عريس وعروسة ليلة زفافهم في منطقة شعبية، كتبه صديق قديم وعندما اتصلت استفسر منه أخبرني القصة وأمر العريسين الآخرين قبلهما بيومين ولكن الشرطة طلبت عدم نشر أي خبر عن الحادثين لبشاعتهما حيث أن الحادث الأول وقع في فندق شهير لرجل أعمال شهير، والعريس ابن أشهر رجل ثري بالبلاد ومازالت العروستان في حالة صدمة وغيبوبة، لم تستفيقا منها بعد.

قاطعته زينب بتعجب:

ـ ولما نشروا الخبر الأخير لا افهم مادامت الحوادث بشعة كما تقول؟!

رد رأفت بآلية:

لأن الزوجين ميتان، العريس والعروسة فارقوا الحياة في آخر مذبحة للسفاح، ومكان الحادث في مكان شعبي وشهد الواقعة الكثير من الناس من سكان المنطقة الشعبية، لأن

العروس قفزت بثوب الزفاف من الشرفة بالدور الخامس، فماتت أمام الجميع، هل تتخيلين الأمر؟! وحدثت مشاجرة ومشادة بين أهل العريس وأهل العروس، كل منهم يتهم الآخربقتل إبنه وتدخل الجيش لحل النزاع ومات خلال المشاجرات سبعة أشخاص من اهل العائلتين، فكان لابد من كتابة تفسير لما حدث للناس، لأن الكثير من أشرطة الفيديو تم رفعها على اليوتيوب، قاطعته زينب:

_ إذا، لقد مات أحد عشر شخصا وليس أربعة أشخاص يا رأفت.

زفر موسى بغيظ وهو يرد:

_ نعرف بأنهم أحد عشر شخصا ولكن السبعة ماتوا نتيجة الشجار، وليس لهم دخل في الموضوع ولا في القصة، هل فهمت؟

هزت رأسها بغباء محاولة الفهم واستيعاب ما يقولون، فقالت:

_ اخفض صوتك يا أبو المكارم أنا أحاول أن أفهم فلم أنم منذ يومين سوى ثلاث ساعات متقطعة، وأشعر بالصداع الشديد.

رد رأفت ساخرا:

ـ وهل نحن من جعلناك تسهرين على الهاتف تتحدثين مع حبيب القلب؟

زفرت بغيظ وهي تنظر له نظرة نارية غاضبة:

ـ اخرس يا رأفت وإياك أن تكمل فليس هذا وقت سخافات وكلام ليس له داع، فأنت تعرف بأنني لا أطيق حسنين هذا ولزوجته ولكنني أتعامل معه من أجل مصلحة الفريق، فلا تجعلني أقطع علاقتى به ووقتها ستندمون.

وهنا قالت الحاجة روحية بصوتها الهادىء الحكيم وهي تحكم شد الشال ولفه فوق رأسها لتداري ذلك الجرح الغائر:

ـ ألا تخجلون من أنفسكم تتشاجرون كالصبيان وهناك قاتل طليق يحصد أرواح الموتى بلا أي رحمة، وأنتم السبب في موت كل هؤلاء الأموات والأرواح البريئة؟

قامت بعدها الحاجة روحية وهي تزفر بضيق مكملة حديثها بضيق:

ـ سوف أعد لكم الشاي ربما هدأت أعصابكم يا حمقى..

نظر أبو المكارم إلى زينب بغيظ وقال بعصبية:

ـ أعتذر منك يا زينب لم أكن أقصد مضايقتك.

زفرت بغيظ وهي تشيح وجهها:

ـ لا عليك، ولكن أخبروني ما الصلة بين الجثث الأربعة؟

الثلاثة رجال نالوا نفس طريقة القتل والتعذيب، قطع اليدين واختفاءها، وحرق الجزء السفلي من الجسد بمادة غريبة فشل الطب الشرعي في معرفة ماهيتها حتى الآن، وذبح وقطع في الوريد الودجي للرقبة وعلامة على الصدر محفورة بجملة «سأفعل ما تريدون – سأعود إليكم» وبقر البطن وخروج الأحشاء وأعتقد تم استخراج بعض الأجزاء الداخلية من جثث الضحايا.

ـ وماذا عن الجثة الرابعة يا أبو المكارم؟

ـ أعتقد بأنها ألقت بنفسها من الشرفة فزعا من شيء ما فلم تصب جثتها بأي شيء، ماتت إثر الصدمة والسقوط على الرأس في الشارع من الدور الخامس وتحطم في الجمجمة.

ـ إذا القاتل تلك المرة يحتفظ بالأيدي كما رأت الحاجة روحية في منامها كتذكار من الضحايا، ولكن لم اليدان لا أفهم؟

وهنا قاطعها رأفت قائلا:

ـ وإن كان كلام الحاجة روحية صحيح، فسنكتشف بحثنا عن

روح قاتلة متسلسلة تلك المرة وليس روح قاتل، قاتلة تقتل الرجال وتقطع أيديهم وتفصل رقابهم وبعدها تمثل بجثثهم.

وفي تلك اللحظة دخلت العجوز وهي تحمل أكواب الشاي وكادت تتعثر فتسقط على وجهها، فقام رأفت مسرعا وأخذ من بين يديها أكواب الشاي الساخن.

وجلسوا ليتحدثوا عن حالة الجثث وكيف وجدوها مشوهة، فلم تترك روح الشر شيئا إلاوفعلته بهؤلاء المساكين كماأخبرهم الصحفي ، فشعروا جميعا بالتقزز والرغبة في الصمت وعدم الحديث تلك المرة، فقطع صمتهم صوت زينب وهي تقول:

سأرحل الآن وعندما أعرف ما عند حسنين سأتصل بكم.

ردت روحية بقلق:

_ ولماذا لا تجلسي ونتحدث يا ابنتي فمازال الوقت مبكرا لميعاد ذهابك للمطعم!

_ لا أستطيع يا حاجة روحية فأنا أشعر بالصداع الشديد والرغبة في النوم والراحة، وليس هناك كلام جديد سنضيفه فلقد تسببنا في تحرير روح وحش كاسر يجتز الرؤوس والأعناق، ولا يكتفي بذلك بل يستمتع بحرق أجسادهم أمام أعينهم أولا وبعدها يقطع أيديهم ولن أستبعد أنه كان يفعلها

وهم أحياء أيضا، قبل أن ينحر رقابهم ليستمتع بعذابهم وآلامهم، لا أريد أن اتحدث بالأمر أريد الهدوء والراحة واستنشاق بعض الهواء النظيف بعيدا عن كل ما نحن فيه من دماء وجثث.

أخذت حقيبتها ورحلت أمام أعينهم وتركتهم في وجوم يشعرون بالذنب لموت تلك الأشخاص وهم في أسعد أيام حياتهم في يوم زفافهم.

***

(٤)

وصلت زينب منزلها وكانت منهكة فأبدلت ثيابها وأخذت حمام دافىء وتناولت شيء خفيف وأغلقت هواتفها الجوالة، وقررت النوم أربع ساعات على الأقل، لتستطيع المواصلة والتفكير في تلك القضية بهدوء وجسد مستريح ولن تسمح لأحد بأن يزعجها مهما حدث، نبهت على أمها بألا تفعل مهما حدث فلا توقظها من النوم فلن تذهب للعمل اليوم في وردية الصباح بل ستذهب في وردية المساء.

أرسلت رسالة قبل الدخول إلى الفراش وقبل غلق الهاتف الجوال لإبن خالتها حسنين، لتخبره بأنها تريده في شيء هام، فليتصل بها في تمام السابعة مساءا حين تكون استيقظت، وهنا سمعت الكثير من الأصوات العالية من حولها فهمست بتوتر ممتزج بالألم:

_ ما تلك الضوضاء الشديدة لا أفهم لقد أخبرتهم ألا يزعجوني مهما حدث، وهنا تسمر جسدها على الفراش وهي تنظر لأعلى بعيون مذعورة، لقد أخذ مصباح الغرفة يهتز وينطفىء ويضيء من تلقاء نفسه كثيرا مصدرا صرير عالي جدا ومزعج، حتى شعرت زينب بالخوف وبأنه سوف ينفجر فوق رأسها، فأغمضت عينيها وهي تصرخ كانت لا تدري ماذا حدث بالظبط فهل علمت الروح بأمرها.

كانت تشعر بأن كل شيء بالغرفة ينقلب على الأرض ويتساقط بغضب وكأن هناك من يلقيه بعنف في وجهها، كانت تشعر بالأشياء تصطدم بها أخذت تصرخ بهيستريا حاولت النهوض من فوق الفراش، ولكن لم تستطع فهناك من يمنعها، ويمنع صوتها من الخروج من حلقها، ففتحت عينيها وأخذت تنظر بهلع كبير إلى ما يحدث أمامها دون أن تتكلم .

وجدت الكراسي ترتفع عالية أبواب خزانة الملابس تفتح مرة واحدة، وتقذف الثياب في وجهها وكأن هناك من يوجد داخل الخزانة ويلقي الثياب في وجهها، وهنا صرخت بهيستريا وخرجت الصرخات من حلقها الجاف عالية مجلجلة وبعدها فقدت الوعي لا تتذكر ماذا حدث وهل حقا خزانة الملابس مرفوعة عن الأرض وتأتي وهي تسير نحوها بقوة أم أنها تتخيل الأمر فقط.

فتحت زينب عينيها بعد دقائق عندما شعرت بالهدوء من حولها والسكينة، وهي تشعر بالألم الكبير في كل ذرة من جسدها حاولت أن تنظر لجسدها، ومصادر الألم ولكنها شهقت رعبا من هول ما رأت لقد رأت نفسها عارية تماما من الثياب وكل جسدها ملفوف بسلك رفيع والسلك ضاغط على كل خلية من خلايا جسدها بقسوة لدرجة أن هناك أجزاء من جسدها تنزف الدماء، كانت ملفوفة كالشرنقة بالسلك

النحاس الرفيع، إن الألم بشع والأبشع بأنك لا تعرف له نهاية ومتي سيتوقف، ولا أين أنت من الأساس ومن أحضرك لذلك المكان، حاولت لف رأسها لرؤية أين هي وماذا يحدث؟

كانت تبدو فوق كوبري من الخشب فهي ترى البحر من بعيد أو النيل لا تعرف ولكن هناك مياه كثيرة، كان الشيء يتحرك بها وكانت هي مقيدة لا تستطيع الخلاص وفك قيودها، حتى فمها كان مقيدا ببعض الأسلاك كلما حاولت فتح فمها كلما اشتد ضغط الأسلاك الرفيعة على فمها قسوة وقوة.

كان القلب يدق بعنف فزعا وهلعا والجسد يرتجف ألما، والعيون زائغة تدور باحثة عن الخلاص لا تعرف ما الذي يحدث والأرض تتحرك من تحتها وهي نائمة كالجوال على الأرض، ليس لها حول ولا قوة.

أخذ الشيء الخشب يتحرك بها يبدو أنه كوبري لسيارات ومارة ولكنه متحرك وليس ثابتا، أخذ الكوبري يقترب من النهاية يبدو أنه سيفتح للمارة، كانت تموت ببطيء، ولكن عقلها يفكر هل ستجد من يخلصها من ذلك العذاب البشع هل ستموت الآن لترتاح في ذلك المكان الغريب الذي لا تعرف أين هو ومن أحضرها إليه وفعل بها ذلك.

هل هي روح القاتل التي حرروها يوما بالخطأ، أخذت

تتذكر جلسة تحضير الأرواح التي قاموا بها هي وأصحابها رأفت وموسى، وما حدث وكيف جلبوا الشر لعالم البشر، كيف تدخلوا فيما لا يعنيهم.

لا يعرفون ما حدث يومها، إن عام ٢٠٢٠ هو عام غريب أصلا من بدايته، وتحدث فيه الكثير من الأمور الغريبة والظواهر التي ليس لها تفسير، فهل تشابه الرقمين واجتماعهما هو السبب، فما السر في ذلك العام الغامض، ولم يستطع أحد تفسيره،الكثير من الأشياء الغريبة حدثت هذا العام وحتى الآن مازالت تحدث ومنذ شهور يجنون هم ثمرات غلطة ارتكبها أحدهم بالخطأ.

تذكرت كل هذا وجلسة تحضير الأرواح وأول جلسة حضروا فيها روح تذكرت عشرات الموتى والجثث الذين فارقوا الحياة بسبب شغفهم للرعب والمغامرة، كانت تشعر بالإختناق الشديد والأسلاك تشتد على جسدها بقسوة أكبر والضغط يزيد ويزيد، والكوبري يهبط لأسفل بتمهل ترى البحر الواسع أو النهر من بعيد هي تعرف بأنه نهر فالأراضي الزراعية منتشرة على الأفق من بعيد والأشجار الخضراء العالية تبدو لها كالريف. كانت تفكر في القادم والنهاية فهي تعرف بأنها نهايتها لا محالة وتتساءل لماذا يحدث لها كل ذلك، فما الذي فعلته ؟!

هبط الكوبري وهنا انفتحت فجوة سوداء في السماء، كانت كالإعصار أو الدوامة من فوقها تكونت من الأرض إلى السماء، إن المنظر جلل خرجت تلك الأشياء السوداء كانت تبدوكالوجوه المفرغة مكونة من حبيبات وذرات الرماد الأسود،كانت تتشكل وتسبح في الفراغ، وتخرج من تلك الدوامات ومع تداخلات الهواء و تخرج من الإعصار وتبتعد عنه وكأنه يقذف بها للخارج، أو رحم يخرج ما بداخله من أجنة، كادت تموت وقلبها يتوقف أغمضت عينيها بفزع وعنما شعرت بتلك الوخزات كالإبر فتحت عيونها بذعر، وهنا رأت ذلك الشيء الأسود الذي تجمع من تلك الوجوه السوداء وهو يندفع نحوها، كانت هيئته تبدوا كأمرأة مجنونة تركض بثورة، ولكنه كان كتلة من الدخان الأسود اندفعت نحوها بسرعة هائلة، هل تلك الدائرتين الحمراويتين مكان تجويف العين هما عينيها في الحقيقة، لم تستطع ولم تتحمل زينب كل هذا، فأخذت تحاول الصراخ وهي ترى الشيء يقترب منها مسرعا، أدارت وجهها لعلها تجد من ينقذها مما سيحدث لها وهنا شاهدت ذلك المتجر الكبير، إن إسمه غريب كانت لوحته مضيئة ومنيرة بتلك الألون الزاهية ذكرها بشيء، هي تعرف أين هي، نعم تعرف الآن أين هي لقد كانت هنا من قبل، قرأت الإسم الغريب للمتجر.

متجر الزوال هي تعرف المتجر جيدا لقد زارته من قبل،

ولفتت نظرها ألوانه وأضوائه وحتى إسمه الغريب كان المتجر يبيع ثياب الأطفال الصغار وكل مستلزمات المولد من ألعاب وثياب وأشياء، وسألت يومها ابنة عمها عن الاسم، فقالت بأنها جديدة هنا ولا تعرف معناه..

صرخت زينب بداخلها قائلة:

ـ بني سويف! نعم أنا هنا في محافظة بني سويف ولكن كيف حضرت إلى هنا! كانت تنظر بذعر لذلك الشيء الأسود الذي يأتي مسرعا تجاهها، وعندما نطقت إسم بني سويف توقف الشيء وأخذ ينظر لها وازداد إحمرار عينيه، كاد قلبها يتوقف من شدة الرعب، وهنا أخيرا استطاعت الصراخ بكل قوتها والغريب لقد خرج صوتها عاليا في الفضاء ولقد سمعته بوضوح، تلك المرة شعرت بتلك الهزة القوية في كل جسدها أخذت تصرخ وتصرخ بلا توقف لعل أحد ينقذها مما هي فيه.

وهنا سمعت صوت يخترق داخلها بقلق قائلا:

ـ استيقظي يا زينب إنه كابوس، فتحت عينيها مرة واحدة بعدم تصديق ونظرت لأمها وأبيها اللذين كانا يقفان فوق رأسها ويحاولان إيقاظها، كانت تشعر بالألم في كل خلية من خلايا جسدها، وكأن ما حدث كان حقيقي ولم يكن وهم ولا حلم أبدا بل حقيقي جدا ومرعب.

قالت بهلع:

ـ أين أنا؟!

ردت الأم:

ـ أنت بالمنزل يا زينب وكنت تحلمين، فلقد سمعنا صراخك أنا وأبوك فدخلنا لإيقاظك ولكنك كنت تصرخين ولا تستطيعين ترك حلمك والاستيقاظ منذ ربع ساعة نحاول إيقاظك يا زينب، فبماذا كنت تحلمين يا بنيتي؟

نظرت لهما بدهشة غير مصدقة حتى تستوعب ما يقولون.. ربع ساعة يحاولان إيقاظها من الكابوس.. إنه شيء غريب جدا..

فقالت زينب:

ـ كم الساعة الآن يا أمي ؟

فقالت الأم بتوتر:

ـ إنها الرابعة والنصف يا ابنتي.

رددت بدهشة:

ـ الرابعة والنصف! فهل مرت ساعتان فقط! أشعر وكأنني مررت بشهور وليست ساعتين فقط، أشعر بالألم الشديد في

كل خلية من خلايا جسدي!

نظر الأب بتوتر إلى ابنته الوحيدة زينب وقال بقلق:

ـ هل أنت بخير يا ابنتي، نظرت له طويلا وإلى عيونه البنية وشعره الرمادي ولم ترد بل ابتسمت بألم، وتناولت كوب الماء من يد أمها وتجرعته مرة واحدة فلقد كانت تشعر بالعطش الشديد وهنا نظرت للكوب بين يديها وتذكرت كل شيء فصرخت بحماس مرددة بصوت عالي:

ـ متجر الزوال، محافظة بني سويف، كل شيء بدأ من هناك.

رددت الأم بقلق:

ـ ماذا تقولين يا زينب

ـ لا شيء يا أمي لا شيء أرجوك أخرجي مع أبي أنا بخير فقط أريد الراحة قليلا قبل الخروج للعمل، نظر الأب لها بعدم فهم ولكنه خرج مع الأم، وأغلقا باب الغرفة خلفهما وأمسكت هي هاتفها لتتصل بموسى وتقول له:

ـ أعتقد بأن ما نبحث عنه سيكون في محافظة بني سويف يا أبو المكارم.

ـ ومن أخبرك يا زينب؟

ردت وهي تنظر إلى آثار الأسلاك على يديها وقالت:

ـ رؤية غريبة جدا للروح يا أبو المكارم رأيتها وأعتقد بأن البداية بدأت في بني سويف، سأتصل بحسنين لأعرف منه المزيد وسوف أقابلكم مساءا في تمام السابعة في المطعم لنعرف من أين سنبدأ.. ولكن أعتقد بأن الأمر لن يكون هينا أبدا وسهل.. ثق في.. هناك شيء غريب تلك المرة بالطاقة، شيء شرير ويريد تدمير العالم أجمع، وأتمنى أن نستطع السيطرة على الوضع..

أغلقت الهاتف وتركت أبو المكارم في دهشة من أمره فماذا تقصد زينب بكلامها يا ترى، عليه أن يفكر ويجمع معلوماته ولما لم يرى لمحة مستقبيليه عن تلك الروح تلك المرة، لما لا يستطيع رؤية شيء هناك شيء خاطىء تلك المرة حقا هو يشعر بذلك لما لا تتواصل معه الروح.

***

اتصل حسنين بلهفة في الوقت الذي قالت عليه زينب، وكان الشاب متحمسا جدا فهو يحب زينب بشدة، ولكنه يعرف أيضا بأنها تستغل عمله ومنصبه في وزارة الداخلية ، حتى تحصل على المعلومات والقصص الغريبة للقتلة من أجل الكتاب الذي تؤلفه، وتكتب فيه عن السفاحين المجهولين الذين ارتكبوا أبشع جرائم القتل في مصر، ولم

يسمع عنهم أحد.

تريد أن تكون الحمقاء كاتبة مشهورة في الرعب، ولكن هل تعرف النساء كتابة الرعب!

فهن يخفن من خيالهن، ولا يقتنع عقله بأن الفتيات الرقيقات اللاتي تبكين لأقل سبب، تستطيع أن تكتب عن الرعب والقتل والدماء، والأشباح، ومن سيكتب عن الرومانسية ومشاعر الحب إذا والليالي الحالمة أسفل ضوء القمر للعاشقين! ولكنه مضطر لمساعدتها وإظهار إعجابه بما تفعل ومساعدتها حتى لو لم يقتنع بما تفعل من الأساس. ولا يؤمن بما تفعل، أو حتى يصدقه ولكن مرآة الحب دوما عمياء لا ترى إلا ما تريد رؤيته فقط، وهو لا يرى سواها ولا يقتنع قلبه بأنثى غيرها. ولن يتردد في تقديم أي مساعدة تحتاجها، ربما يوما شعرت به وبحبه لها منذ الصغر ومنذ كانا طفلين يلعبان معا وهو يعشقها ويتمناها زوجة وحبيبة له، ولن تملأ قلبه أي أنثى غيرها بالكون، قالت زينب بفتور:

_ كيف حالك يا حسنين، وأخبار عملك؟

_ رد بلهفة بخير يا زيزي..

زفرت بغضب:

_ أخبرتك بألا تناديني بذلك الاسم ألا تفهم!

_ ولماذا يا زيزي فهذا الإسم كنت تحبينه!

فقالت بغضب:

_ كنت أحبه عندما كنا صغار يا حسنين، ولكن الآن لا أحبه ولا أحب أن يناديني أحد به هل فهمت فلا تضايقني؟!

شعر بالضيق فقال بفتور:

_ ماذا تريدين يا زينب لأن لدي الكثير من الأمور الآن؟

شعرت هي بضيقه فحاولت أن تبدو لطيفة حتى يعطيها ما تريد من معلومات، فبدونه لن تحصل على شيء، فقالت:

_ لا تغضب وتكون سخيفا فأنت تعرف بأنني أحب الحديث معك أيها الغبي ألم تفهم بعد.

فقال هو بلهفة:

_ حقا يا زيزي؟!

فتغاضت عن الأمر وقالت بفتور:

_ نعم يا حسنين.. والآن أريد منك شيء هام من أجلي ومن أجل الكتاب الذي أكتبه..

قاطعهاحسنين قائلا بفخر وزهو مفتخرا بنفسه:

ـ تعرفين أنني أحتفظ في عقلي بقصص كل القتلة المتسلسلين والسفاحين في مصر والذين لا يعرف عنهم أحد شيء غيري، فأنا مسؤل الأرشيف لأهم ملفات وزارة الداخلية في مصر كلها، هل تتخيلين كل هذا محفوظ هنا في عقلي، وأشار إلى عقله وأطلق ضحكة ساخرة..

قالت زينب وهي تحاول أن تتمالك أعصابها أمام كلمات حسنين المستفزة وزهوه بنفسه وعمله والأرشيف الذي يحفظه عن ظهر قلب كلما لجأت إليه:

ـ أعرف يا حسنين كل ذلك ولقد اختاروك لأنك تستحق هذا، فمن سيجدون غيرك يأتمنوه على تلك الأسرار العظيمة والخطيرة؟!

ازدادت ابتسامته اتساعا بزهو وفخر أكبر وقال وهو يتكأ أكثر على المقعد:

ـ والآن يا زيزي أخبريني عن أي سفاح تريدين أن تكتبى تلك المرة، وأنا سوف أحكي لك قصته، فهناك الكثير من المخابيل فعلوا الكثير من الجرائم وأبشعها في بلدنا ولم يتحدث عنهم أحد بسبب بشاعة وشناعة الجرائم وما فعلوه ضد الإنسانية كلها، ولكنني أعرف قصصهم وخباياهم.

وهنا قالت:

ـ بسرعة تلك المرة يا حسنين، أريد التحدث عن القتلة المتسلسلين من النساء، أريد قصة قاتلة قاسية القلب، ليس لديها أي مشاعر ولا رحمة قاتلة تفوقت على الرجال في العنف، على أعتى الرجال، وكانت تقتل الرجال وقبل قتلهم تعذبهم تحرقهم أو تذبحهم مثلا شيء من هذا القبيل، مثل السفاحة الأمريكية الشهيرة «إيلين كارول» التي كانت تقتل الرجال فقط ولا تقتل النساء ولا الأطفال لكرهها الشديد لهم لأن أبيها قام باغتصابها عندما كانت طفلة، وبعدها جدها وتزوجت الأم فقام زوج الأم أيضا باغتصابها والاعتداء عليها فتولدت لديها كراهية للرجال فكانت تقتلهم بلا رحمة بعد اصطحابهم للغابة.

صمت حسنين دقيقة يستمع لها وبعدها قال:

ـ ما سوف أخبرك به يا زينب خطير جدا، وينطبق تحت بند السرية المطلقة، فتلك القضية كانت بشعة جدا وقاسية..

وهنا حاولت زينب أن تنصت وتستمع له باهتمام وهو يكمل:

ـ وكأنك تتحدثين عن كتيبة الإعدام المدرعة ..

قالت زينب بضيق:

ـ لا أريد كتيبة يا حسنين للقتل بل أريد قاتلة واحدة تقتل.

وهنا قال لها حسنين بتوتر:

ـ أعرف، لقد أطلقت عليها الشرطة ذلك الأسم، فلقد كانت القاتلة ككتيبة الإعدام حقا والمدرعة في القتل والوحشية بلا رحمة واستخدام كل طرق التعذيب حتى الاحتفاظ بأيدي من قتلتهم وتجميعها كذكرى، , و التهام قلوب ضحاياها بسادية ووحشية، وبقر بطونهم..

وهنا التفتت زينب بكل حواسها لكلمات حسنين وهو يردد جملته الأخيرة «الاحتفاظ بأيدى من تقتلهم بعد تعذيبهم»، وتأكدت بأنها هي، فتلك السفاحة هي روح القاتلة التي تريدها.

فقالت بدلال كبير ولهفة:

ـ هل تخبرني قصتها حبيبي كاملة حتى أضمها لكتابي، فأنت تعرف المنافسة قوية ولم يترك الكتاب الرجال شيء للكاتبات النساء تكتب عنه في الرعب، وأريد التميز بينهم.

لم يصدق حسنين بأن تناديه بحبيبي ولم يهتم بأي كلام قالته أصلا سوى حبيبي فقال بلا تردد:

ـ سأخبرك كل شيء يا حبيبتي ونور عيني وروح قلبي، وكل ما أعرفه، ولكن تلك القضية ليست كاملة في الأرشيف،

وعليك البحث عن باقي تفاصيلها.

لم تنطق زينب بكلمة بل كانت تريد أن تعرف المزيد من المعلومات عن المدرعة، أو كتيبة الإعدام، فهل ستتشابه مع قصة «مايكل مايرز» اشهر السفاحين؟، ولكنها لم تنطق وهي تستمع.

قال حسنين بعد أن أخذ نفس عميق:

_ لقد كانت المدرعة قاسية، وتقتل ككتيبة كاملة وتنفذ حكم الإعدام على من تعرفتهم من الرجال في ليلة زفافهم، وكان أغلبهم من الرجال الذين تزوجتهم، كانت تدعى إنصاف السيد عبد السلام من محافظة بني سويف، لقد قتلت اكثر من ٣٥ رجل على مدار عام كامل وقامت بتعذيبهم بطرق بشعة جدا..

وهنا شهقت زينب برعب مرددة:

_ ٣٥ رجل!، وكيف لم يشعر بها أحد ولا الشرطة؟، وهل كانت المرأة الحديدية!

فقال حسنين:

_ لأنهم لم يكونوا في نفس المحافظة يا زينب، بل كانوا في محافظات مختلفة في مصر، كانت تجوب المحافظات

بحثا عن ضحاياها ومن يلقيه القدر في طريقها، لم تكن تضع الخطط ولا طريق السير المحدد لتتمكن الشرطة من القبض عليها بسهولة، لم تكن المدرعة تريد سوى القتل فقط والتدمير ، قتل الرجال وإزهاق أرواحهم وتعذيبهم كان غايتها وهدفها بالحياة.

١٦ من يوليو ٢٠٢٠

طنطا محافظة الغربية

كان عامر يرتدي بدلة العرس السوداء، وكان يشعر بالسعادة العارمة، فاليوم هو يوم مميز في حياته، سوف يتزوج ويكون أسرة، فسنوات من العيش في ملجأ الأيتام بعد أن وجدوه في صندوق قمامة، فلقد عاش الشاب حياة بائسة في مأوى الأيتام، ولكنه دوما كان يتمنى حياة أفضل، كان متفوقا في دراسته، التحق بكلية ورفض مدير الدار أن يجعله يكمل دراسته، فمعظم أقرانه اكتفوا بدبلومات الصنايع أو التجارة والتحقوا بالعمل، ولكن عامر أصر على أن يكمل حلمه ودخل كلية الهندسة، والتحق للعمل عندما أكمل الثانوية العامة، وكانت سيدة أعمال شهيرة تتولى مساعدته وتتبناه منذ كان صغيرا وعندما أصر على دخول الكلية ساعدته السيدة، ووفرت له سكنا وعملا في أحد مصانعها، وبعد أن تخرج التحق للعمل في الشركة، وكانت السيدة

ترعاه وأهدت له شقة من شقق العاملين في الشركة حتى يتزوج فيها، واختار العروس المناسبة له وكانت زميلته في الجامعة ويتيمة مثله، ولكنها كانت معروفة النسب، وضعها والدها بالميتم لأن زوجته رفضت تربيتها، وليست مثله مجهولة النسب والهوية.

وكان يتمنى أن يعيش حياة سعيدة وهانئة ويملك أسرة تسودها المودة والمحبة، هذا كل ما كان يتمناه منذ كان صبيا صغيرا يعيش في الميتم ويرى باقي الأطفال في المدرسة يعودون لمنازلهم بعد انتهاء اليوم الدراسي وينتظرهم أهلهم، وليس مثله، عليه العودة إلى ملجأ الأطفال حيث ينتظره العقاب إن تأخر والحرمان من الطعام والشراب إن فعل شيء خاطىء، فهو ليس طفلا كباقي الأطفال لا يحق له أن يخاف، فهو يتيم وليس هذا فقط بل هو لقيط من صندوق قمامة أيضا إبن حرام كما كان يناديه دوما مدير الملجأ وينعته.

نفض كل تلك الأفكار السيئة عن رأسه ونظر إلى نفسه في مرآة المنزل وهو يبتسم بسعادة، وهنا رن هاتفه الجوال، نظر له وكانت السيدة التي تكفلت به منذ كان صغيرا وأحبته كإبنها، ربما لم يعامله أو يشعر به أحد بالكون غيرها هي، كان يقدسها، فهو يراها ملاك تسير على الأرض ومكانها السماء وليس تلك الأرض التي تمتلىء بالقسوة والجحود من البشر.

قال بسعادة:

ـ مرحبا يا سعاد هانم كيف حالك؟

سمع صوتها وهي تقول له معاتبه كعادتها:

ـ ألم تكف يا ولد عن ترديد كلمة هانم ألم أخبرك منذ كنت صغيرا بأنني أمك أيها الأحمق؟

كان يحب مداعبتها له وغضبها عندما يقول لها جملة سعاد هانم، يحب سماع كلماتها الغاضبة التي تخبره فيها بأنها مثل أمه، إن الحرمان شيء قاسي ومؤلم هو يعرف فلكم يشتاق لترديد كلمة أمي لها ولكنه لا يستطيع، فمنذ كان طفلا صغير هو يعرف بأنها ليست أمه ولن تكون أبدا فهو إبن حرام، ولن يخدع نفسه، بل سيحارب حتى يكون له أسرة وأطفال وسيجعلهم سعداء ويبتسمون دوما ويفتخرون كونه أبيهم، ولكنه يحب حقا تلك المرأة ويقدسها، سمع صوتها وهي تقول بعتاب كبير:

ـ مازلت في المنزل يا عامر أليس كذلك يا ولدي ولم تذهب لمصفف الشعر الذي حجزت لك عنده يا أحمق؟!

ابتسم هو بسعادة قائلا:

ـ قولي لي وما الذي سيصففه وأنا بلا شعر وحلقت شعرى

كله يا سعاد هانم؟

ـ أحمق أنت يا عامر وعنيد، فهل هناك عريس يذهب فرحه بلا شعر يا غبي، لا أدري كيف وافقت بك تلك المجنونة ولكنني أعرف بأنها تحبك بجنون.

ابتسم لدعابتها وقال:

ـ أريد أن أقول لك شيئا لم أقله لك منذ أكثر من عشرين عاما، وقتها كنت في السابعة من عمري عندما رأيتك أول مرة في ملجأ الأيتام، أنت ملاك كبير يعيش على هذه الأرض، ومكانتك مقدسة وأنا أشكرك على كل شيء فعلتيه من اجلي.

قالت له بعتاب كبير:

ـ أنت أحمق كبير يا عامر، لأنني أخبرتك كثيرا بأنك إبني، نعم لم تلدك بطني ولكنك إبني شئت أم أبيت يا ولدي وأتمنى لك السعادة فهذا هو واجبي يا بني تجاهك، وفقك الله في حياتك الجديدة ووهبك السعادة التي تتمناها يا حبيبي..

وهنا شعر بالسعادة الكبيرة فهي، تقول مرة أخرى بأنه إبنها، وهو يحب سماع ذلك كثيرا لن ينكر، فمن سيقول له تلك الكلمات غير تلك الملاك الكبير.وهنا سمع تلك الضجة تأتي من خلفه فالتفت بسرعة، وهنا صرخ بفزع صرخة عالية،

وسقط الهاتف من يديه، فقالت المرأة بقلق:

_ ماذا حدث لك يا عامر، لماذا تصرخ يا ولدي أجب بالله عليك ؟!

وهنا سمعت صرخاته المريعة وكأن أحدهم يعذبه ويقتلع أظافره وهو يردد من بين دموعه:

_ ساعديني يا أمي أنا أحترق ..

وبعدها انقطع الإتصال، شعرت المرأة العجوز بالذعر الكبير من صوت عامر وهو يصرخ مرددا أمي بلوعة، فرددت بقلق، ماذا حدث لك يا بني؟، فهي تعتبر الشاب كإبنها كفلته وهو صغير وأهتمت به حتى صار مهندسا ووفرت له عملا في مصنعها ووفرت له شقة وخطبت له واليوم هو يوم زفافه، كانت تحبه كإبنها الذي لم تلده، وكان هو بارا وحنونا معها أكثر من أولادها الذين لا يسألون عليها إلا من أجل المال، إلا هو كان يحبها لأنها اهتمت به ورعته لقد حفظ الجميل وما قدمته له من حب وأمان فأعطاها الحب والحنان، كادت تموت من الذعر عليه، اتصلت بالشرطة وأبلغتهم بالأمر وذهبت مسرعة مع سائقها ومدير أعمالها إلى منزل عامر لترى ماذا حدث له وكانت تدعوا الله أن يكون بخير.

***

كانت سيارة الشرطة قد سبقتها إلى شقة المهندس عامر في ذلك الحي الراقي بمدينة طنطا، وكانت قد اكتشفت حالة الجثة بعد أن تم فصل رقبتها تلك المرة عن الجسد، وكانت معلقة كالذبيحة من أقدامها بذلك الخطاف من الحديد مغروس في لحم القدم، في منظر مقزز جدا وليس فيه أي نوع من أنواع الرحمة والشفقة، إن المنظر مقزز وكئيب جدا، منعها رجال الشرطة من الدخول فلن تتحمل ما بالداخل أبدا، ولكنها كانت كالمجنونة وتريد معرفة ما الذي حدث لإبنها، دخلت عنوة وهي تدفع رجال الشرطة بقسوة ولكنها حقا لم تتحمل ما رأت تلك المرة، فمن ذلك الوحش الذي فعل هذا بولدها، لم تتحمل كل تلك الدماء على الأرض وجسده المعلق كالذبيحة بدون رأس، وأمعائه وأحشائه تتدلى منه وما تبقى منها على الأرض، بحثت بذعر عن رأسه الأصلع وكان ملقى في جانب الغرفة، وكانت مازالت عيونه مفتوحة و نظرات الرعب والفزع على وجهه، يبدو بأنهم عذبوه وهو حي واقتلعوا رأسه كالنعاج، لم تتحمل، فلم يقطعون رأس ابنها بتلك الوحشية؟!، عادت لتنظر لجسده المعلق بصدمة حتى يديه لقد قطعوها له بوحشية، لم يعرف القاتل كم قدمت تلك اليدين لها من حب وخير وحنان، لم يعرف الوحش بأن تلك الأقدام التي احترقت عن بكرة أبيها وتشوهت، فساح الجلد وتساقط على الأرض ليلتصق بالسجاد الجديد، لا

يعرفون كم سار بها في الطرقات المبتلة وأسفل المطر ليلبي لها إحتياجاتها ويجلب لها العلاج والدواء وكل ما تحتاجه، ونظرت ذلك الصدر العاري أمامها بعد تشويهه والحفر على اللحم وما هو مكتوب «سأعود إليكم - سأفعل ما تريدون جميعا» كم كان حنونا عطوفا عليها لسنوات طويلة، فلماذا يفعلون ذلك بولدها، لماذا يذبحوه كالنعاج ويعذبونه حتى الموت، ويبقرون بطنه لتخرج أمعائه خارج بطنه في مشهد مرعب وبشع، وبجوارها كان قلبه وقد اعتصره أحدهم بقسوة، لم يعرفوا كم كان ذلك القلب طيبا وحنونا معها، رحيما رؤوفا بحالها وكسرها وكبر سنها، لم تتحمل سعاد كل هذا، فسقطت على الأرض وهي تشعر بتلك الوخزة الشديدة في أعلى ظهرها ومكان القلب، هي تعرف بأنها النهاية وكانت تريد أن تلتقي بولدها، وبعدها غادرت روحها حقا جسدها إثر صدمة وأزمة قلبية مفاجأة، فلم يتحمل قلبها المريض بشاعة ما رأت، فلقد تفوق القاتل على الشيطان نفسه فيما فعله بطفلها.

وصل المحققان أدهم وسليم من القاهرة بعد إبلاغ مديرية الأمن بالأمر، وكانا المحققان في حالة صدمة شديدة، فتلك المرة فاق القاتل كل التوقعات وطرق التعذيب لضحاياه، فماذا فعل له الضحايا!، كانت الرائحة الزفرة للدماء المسفوكة بشعة جدا، لم يتحملها أدهم، فأخرج إحدى سجائره ووضعها

في فمه قائلا:

_ أعتقد بأن القاتل يتدرج في طرق التعذيب يا سليم لسبب، فهل يريد إيصال رساله خاصة لنا مثلا؟!

هز سليم رأسه مفكرا وهو يقول:

_ ربما..فيبدو أن القاتل مختل، ولكن كيف يختار ضحاياه؟، هل هناك رابط بينهم أو صلة قرابة لا افهم؟

هز أدهم رأسه مرددا:

_ لا، ليست هناك أي صلة قرابة، ولكن الرابط الوحيد بينهم جميعا هو بأنهم عرسان وفي ليلة زفافهم فقط.

زفر بغيظ وعدم فهم قائلا:

_ ولكن لماذا يا أدهم بيك؟

نظر له أدهم ولم يرد، فهو نفسه لا يفهم لماذا، فلماذا يكره القاتل كل عريس مقبل على الزواج، هل لأنه لا يستطيع فعلها مثلا وظروفه لا تسمح!، هناك شيء غريب، قطع حبل أفكاره صوت جرس هاتفه الجوال وهو يرن، فوضع الهاتف على أذنه وكان من الطب الشرعي، كان قد استعجل معرفة تلك المادة البيضاء التي يجدونها جوار الجثث، وكانوا يعتقدون بأنها سبب تلك الحروق والتشوهات في جثث

الضحايا، وكان كما توقع، لقد أخبره مساعد تقرير الطب الجنائي، وتلك المادة هي مادة كيماوية كانت تستخدم للتنظيف في التسعينات من القرن الماضي، وتخلط مع المواد الكاوية كالكلور، وكان هناك مصنع واحد في طنطا هو من كان ينتجها فقط في مصر كلها، ولكنهم توقفوا عن صناعتها تماما، لأنه تم استخدامها في القتل، وأدت لأذية وإحراق العديدين، فتم إغلاق المصنع تماما منذ سنوات، استمع أدهم لتلك المعلومات الغريبة باهتمام كبير وتركيز يريد ربط الأمور بعضها ببعض، ومن حسن الحظ بأنه في طنطا ليتحرى عن الأمر أكثر وعنوان المصنع كان قريبا نوعا ما من منطقة منزل الضحية، فليتحروا عن الأمر فربما توصلوا لشيء.



(٥)

٢٢ مايو عام١٩٩٢ م

محافظة بني سويف- قرية أم الرجال

وقفت في شرفة منزلها تشاهد تلك الأراضي الخضراء لحقول الذرة أمامها، كانت تحاول استنشاق القليل من الهواء النقى لتملأ به صدرها بعد نزيف حاد وهبوط بالدورة الدموية ألزمها الفراش لعدة أيام مضت، لا تستطيع الحركة بعد إجراء عملية كبرى لإزالة الرحم، بعد تعثرها أثناء الولادة مع الداية في المنزل وكادت تموت، فاضطروا لنقلها للمستشفى العام، فقاموا باستئصال الرحم بعد استخراج الفتاتين، نتيجة ذلك النزيف الحاد الذي كاد يؤدي بها للموت لولا ستر الله ورحمته، ولكنها حجزت أسبوع كامل بالعناية الفائقة وبعدها عادت للمنزل لتكمل علاجها، ولقد عرفت بوفاة طفلتيها من زوجها وهي بالمستشفى ولم تخرج بعد، تعجبت من الأمر وشعرت بالصدمة الكبيرة والحزن الكبير ولكنها لم تنطق ولم تعترض حتى على ما يقول الزوج، لقد أخبروها بالمستشفى بأن الفتاتين كانتا سليمتين وبصحة جيدة عند الولادة، فكيف ماتت الطفلتان كانت تتمنى أن تخرج لهما لتحتضنهما وتضمهما بين ذراعيها وترضعهما من صدرها، فلكم تمنت تلك اللحظة منذ أن عرفت بخبر حملها،

كانت تريد أن تضم وليدها مهما كان نوعه بين يديها، لينسيها قسوة ذلك العالم وما فعلوه بها منذ كانت طفلة صغيرة، ليس لها ذنب في كونها أنثى في قرية وعائلة لا تنجب سوى الذكور، قرية يتفوق عدد ذكورها عن عدد إناثها، فالإناث تموت عند مولدها دوما، كانت تسمع بأن القابلة تقوم بخنقهن وكتم أنفاسهن بالإتفاق مع أم الزوج لتتخلص من عارهن وهن صغيرات.

لقد سمعت تلك القصص والحكايات وهي مازالت طفلة وعندما كانت تسأل أمها كانت لا ترد، كان لديها أخان آخران غيرها وكانا مميزين جدا لدى الأب، فيخرجان برفقته ولكنها غير مسموح لها بذلك، كانت تذهب للمدرسة وتعود سريعا خوفا من العقاب الشديد من والديها، كان عدد الفتيات بقريتها أم الصبيان قليل جدا بالقرية، ومات والدها وهي في سن العاشرة من عمرها وكانت وقتها في الصف الخامس الإبتدائي، كان الأب قاسي وجاف في التعامل معها ولكنه كان يريدها أن تكمل تعليمها، كان دوما يخبرها بذلك.

وبعد أن مات والدها تزوجت أمها بعد عدة اشهر من عمها، لا تدري لماذا رغم أنه كان متزوجا وعنده أطفال هو الآخر، وكان يسكن بالمنزل المجاور لمنزلها، ولكنه كان أكثر قسوة من والدها وكان عنيفا جدا معها، ويقوم بمعاقبتها،

لأتفه سبب وضربها بقسوة، ومنعها من الذهاب للمدرسة وإكمال تعليمها رغم تفوقها وذكائها، كانت صغيرة الحجم ولم يحدث أي تغيرات فسيولجية في جسدها، بل كانت في حجم طفلة في السابعة من عمرها وجسدها هزيل ضعيف نحيل جدا، لم تبلغ الفتاة إلا عندما أكملت عامها السابع عشر، وكان نتيجة زيادة لهرمونات الذكورة عن هرمونات الأنوثة لديها، وبعد الذهاب لطبيبة الوحدة والتحاليل والعلاج الذي استمر لسنوات بالهرمونات، فلقد كان حجمها كطفلة صغيرة، ومشعرة جدا فكانت الأم قلقة بشأنها حتى لا يفوتها قطار الزواج، ولم تكن إبنتها جميلة وفاتنة الحسن، ولم تكن قبيحة ودميمة أيضا كانت فتاة عادية، كانت مشكلة بلوغها تثير هلع العائلة والعم لأنها تؤخر زواجها وكل من في مثل عمرها لديهن طفلان وثلاثة، ولن يقبلوا بأن تكون عانس في العائلة وفي القرية التي يعيشون فيها قرية أم الصبيان، جلابة الذكور والرجال.

سمعت يوما عمها وهو يتحدث عنها مع أمها قائلا بثورة:

_ يا ليت أخي السيد رحمه الله قد سمع كلامى وطلب من الداية خنقها وكتم أنفاسها وهي صغيرة، كنا ارتحنا من هما، ولكنه قال حرام وخاف عقاب الله، ولكنني لن أعول عانسا تجلب لنا العار مدى الحياة، يومها سمعت أنصاف كلام

عمها الجارح، وجاءتها العادة الشهرية فهل هو الخوف أم قسوة الكلام على النفس، يومها فقط بلغت إنصاف كباقي الفتيات، وكان عمرها سبعة عشر عاما، وعندما تقدم أول عريس يدق باب العم، وافق العم على الفور بتزويج ابنة أخيه للرجل وكان يبلغ من العمر خمسين عام، وأرمل، تقدم لطلب يدها من عمها وكان صديق له منذ زمن وأصغر منه بخمس سنوات، وكان من القرية المجاورة لهم، قرية أم الرجال، وافق العم على الفور دون حتى أن تراه الفتاة أو حتى توافق، فليس لها حق في ذلك، فيكفي بأن هناك من تقدم لطلب يدها، ووجدت إنصاف نفسها زوجة لرجل غريب لا تعرف عنه شيء ومسئولة عن أربعة أطفال صغار، وتركت قريتها ومنزلها لقرية أشد جهل وكرها للفتيات،قرية أم الرجال، فلا تجلب من بالقرية سوى الرجال.

فنفس الشيء الغريب عدد ذكورها أكبر من إناثها بكثير، لأن الإناث تموت عند مولدها بلا سبب، تزوجت إنصاف وعاشت في منزل أهل زوجها، وكانت نفس الحياة القاسية ولكن مسئولياتها أصبحت أكثر، وتحكمات حماتها كانت قاسية وحتى زوجها كان قاسي القلب والملامح يعاملها بقسوة شديدة وخشونة، لا يحترم ولا يقدر ما تفعل مع أولاده وفي المنزل الكبير.

كانت تكرهه بشدة وتكره قسوته، تكره لمساته لها تكره رائحته عندما يلمسها، عندما يضربها لأتفه الأسباب هو وأمه كما كان يفعل عمها وأمها، لدرجة أنه قام يوما ببتر جزء من إصبعها في إحدى المشادات عندما كان منفعلا، كانت تريد طفل تحتضنه يعوضها عن ذلك الحرمان وقسوة الحياة، يعطي لها الأمان والحنان تحتويه وتضمه، فلقد كانت تفعل ذلك مع أطفال زوجها ولكنهم كانوا ينفرون منها ويكرهونها، يعاملونها معاملة زوجة الأم رغم حبها لهم، لدرجة أنهم أحيانا كانوا يضربونها بالعصى والحصى، لقد أصبحت تكرههم كما تكره أبوهم وجدتهم.

فلماذا تزوجها وجعلها كالخادمة، وعندما يريد أن يقضي شهوته معها فقط بكل قسوة وعنف غير مبالي بمشاعرها وما تريد، لماذا خلقت في ذلك العالم البغيض، فما الحكمة من وجودها؟

ولما خلقها الله بالحياة؟ هل خلقت لتعاني؟

كانت دوما تسأل نفسها نفس السؤال لسنوات طويلة، ماذا فعلت ليحدث لها كل هذا وما ذنبها في كونها خلقت أنثى، لم عالمها ينبذها هكذا ولا يتمنى لها سوى الموت والشر والأذى؟

والآن تنظر لتلك الحقول الخضراء الممتدة أمامها بعد عودتها من المستشفى وتعافيها بعد إستئصال رحمها وموت

طفلتيها بلا أي مشاعر للحياة ولا أي أمل في الحياة، فلقد فقدت إحساسها بكل شيء ومات كل أمل بداخلها، عندما علمت بخبر موت بناتها الصغار، ومن قبلها استئصال أنوثتها وبيت ولدها فلن تصبح أما ولن تحمل طفلا في أحشائها مرة أخرى، دخلت في تلك اللحظة حماتها قائلة بفتور شديد:

_ لقد تحسنت صحتك يا إنصاف عليك بالعودة لمباشرة أعمالك بالدار، فسلفتك حورية وضعت مولودها منذ أيام ولا تقدر على الخدمة بالصبي الصغير، وأنت ليس لديك ما تهتمين به ولن يكون لك.

لم ترد إنصاف ولم تنظر للسيدة العجوز من الأساس، فثارت أم زوجها لذلك التجاهل المتعمد، فلكزتها في كتفها بقسوة وهي تردد:

_ هل قطع لسانك يا بومة أم أكله القط أيتها البور، فلن تنجبي مرة أخرى، ستظلين خادمة في المنزل تعملين بلقمتك التي تأكلينها بالمنزل وتربي أولاد زوجك، وتحمدي الله على تركه لك لتعيشي بالمنزل يا شؤم يا جلابة الفتيات وتقبلين حذائه كل يوم من أجل ذلك.

التفتت إنصاف إليها قائلة بآلية:

_ أخبريني كيف ماتت بناتي هل قتلتوهما؟

نظرت العجوز إلى عيونها بجمود وقالت:

ـ وما النتيجة يا بومة، لقد ماتت الفتاتان وهذا هو المهم، لقد ارتاحتا وأراحتانا منهما بالنهاية، كررت إنصاف السؤال بآلية أكثر قائلة:

ـ كيف ماتت بناتي هل قتلتوهما؟

ـ وماذا ستفعلين إن عرفت، هيا إذهبي وأعدي طعام الغداء يا بومة، وكفي عن الثرثرة فلن تنفعك، لقد اقترب الظهر وسيعود الرجال متعبين من العمل.

وهنا نظرت لها إنصاف نظرة نارية وقالت بجمود:

ـ أنت أم الداية من قام بقتل بناتي أخبريني؟

لم ترد أم زوجها بل استدارت لتغادر الغرفة وهي تردد بقسوة:

ـ أسرعي وأعدي الغداء وكفي عن الثرثرة، وهنا فقدت إنصاف أعصابها فجذبتها من ثيابها وقالت بقسوة:

ـ أخبريني من قتل بناتي الآن؟

وهنا جن جنون العجوز عندما جذبتها زوجة إبنها من ثيابها فصرخت بغضب وبصوت عالي:

ـ كيف تجرؤين أيتها البومة..

ورفعت يديها لتصفعها على وجهها ولكنها أمسكت يديها بقسوة ومازالت تردد سؤالها بآلية وجمود:

ـ خبريني من قتل بناتي؟، أنت أم الداية؟

صرخت العجوز وهي لا تصدق أن تتجرأ زوجة إبنها وتفعل ذلك معها! فصرخت بغضب شديد وفي تلك اللحظة دخل إبنها إلى الغرفة وسمع صرخات الأم وصياحها، وشاهد زوجته وهي تمسك يد أمه فدفع زوجته بقسوة شديدة فسقطت على الأرض، وأخذ يركلها بقدميه وحذائه في بطنها، وهنا أوقفته الأم وقالت برجاء:

ـ انتظر يا ولدى حتى لا تموت فمازال جرحها أخضر لم يطب بعد، إنتظر حتى يلتئم جرحها وبعدها إفعل بها ما تشاء، لن يلومك أحد، فلا تجلب لنا مصيبة في بومة يا ولدى بالله عليك. فابتعد بعد أن بصق عليها مردد بقسوة:

ـ هل تعرفين من قتل بناتك يا جلابة البنات يا غراب، أنا من خنقتهما بيدي، فلن أجلب العار لنفسي يا بومة الفقر والمرض، فزوجتى السابقة أنجبت لي أربع ذكور وأنت تجلبين لي الإناث، فهذا المنزل لن يأوى البنات أبدا، لقد خنقتهما وكتمت أنفاسهما بيدي التي قطعت إصبعك، كانتا

تشبهانك كثيرا في نظراتهما البغيضة، فقريتنا هي قرية أم الرجال وليست أم النساء، ولقد أخبرت أمك وكانت تعرف هي وعمك وأخبراني أن أفعل ما أريد، فهما بناتي وليس لهما دخل بالأمر، وسوف تعيشين كالخادمة بالمنزل، وسوف أتزوج عليك، فلقد أصبحت عاقر بعد أن أزالوا بيت الولد يا بومة.

بعدها صفعها على وجهها وبصق بقوة على وجهها وجذبها من شعرها الأسود الطويل وهو يكمل:

ـ ستكونين خادمة لأمي ولكل من بالمنزل، إن أردت البقاء بالمنزل تنظفين وتعدين الطعام كالحذاء الذي أرتديه.

لم تبك إنصاف ولم تذرف دمعة واحدة من عينيها، فلقد جفت الدموع في مقلتيها كما يجف نبع الماء، ولم يعد لها مكان، نظرت لهم جميعا بعد أن تجمع كل من بالدار ليروا ماذا يحدث، وأخذوا ينظرون لها بشفقة كبيرة لحالها، فمازالت في فترة النفاس وما تعرضت له ليس هين، فبسبب حماتها ورفضها أن تذهب للمستشفى رغم إن الداية أخبرتها بأن حالة زوجة إبنها ليست جيدة وتحتاج طبيب، ولكنها رفضت وأصرت على الولادة بالمنزل ولم تلد في النهاية فلقد كادت تموت واضطروا لنقلها للمستفى في النهاية، ولكنها خسرت بيت الولد ولن تستطيع الإنجاب مرة أخرى.

ولم تترك لها حماتها وزوجها بناتها لتفرح بهما ويعوضاها عما رأت، بل قاما بكتم أنفاسهما حتى ماتت الفتاتان ورحلتا عن ذلك العالم القاسي وجحوده.

قامت إنصاف من على الأرض ومازالت تنظر لعيون زوجها بآلية وجمود بلا أي مشاعر، وبعدها ألقت نظرة أخرى باردة لعيون حماتها وردت بآلية:

ـ «سأفعل ما تريدون جميعا!».

غادرت الغرفة بعدها بهدوء شديد، لتعد لهم طعام الغداء، أمام نظرات الذهول والتعجب من الجميع فلم تذرف المراة دمعة واحدة، ولم تعترض على ما فعلوه بها، بل أخبرتهم بأنها «ستفعل ما يريدون بلا مبالاة، نظرت الأم بقلق لإبنها قائلة:

ـ هل هي بخير يا ولدي؟ فربما أصبتها من ركلك لها في بطنها فتجلب لنا مصيبة.

فرد الزوج على أمه قائلا:

ـ لا تقلقين يا أمي، فهي كالبهيمة الخرساء، حمارة عمل لا تصلح إلا للتحمل، ولا تسير إلا بالضرب، و لا تشعر بشيء، ولم تتألم حتى أو تبكي بعد كل الضرب الذي ضربته لها، اتركيها لتتعلم كيف تتأدب وتعرف وضعها الجديد وتعيش في سلام بالبيت بلا منغصات، فيكفي ما أنا فيه من هم

ونكد.

ذهبت بهدوء وأعدت طعام الغداء، ولم تنطق بحرف واحد ولم تقل شيء ، ولم تنزل دمعة واحدة من عينيها، بل كانت نظراتها شاردة وبعدها ذهبت لترتب وتنظف المنزل واستمرت على هذا الحال أيام وليال، لا تتكلم ولا تنطق تفعل ما يقولون بلا أي رد سوى جملة: «سأفعل ما تريدون» لا تبالي بركلات الزوج ولا نظرات أمه.

وبعد عدة أيام ذهبت إلى المستشفى لتغير على جرح بطنها ويراه الطبيب، فلقد كان الجرح كبير وتقيح وامتلأ بالصديد والسوائل، فأصبحت رائحته كريهة لا يطيقها أحد، وكانت لا تشتكي ولا تتألم، أخذتها أمها إلى المستشفى ودخلت للطبيب الذي فزع عند رؤية منظر الجرح وما أصابه من تلوث وتقيح، فكتب لها العلاج وقام بالغيار لها واعطائها مضاد حيوي قوي، وهنا قالت له برجاء:

- هل تكتب لي شيء يساعدني على النوم من فضلك، فأنا أظل مستيقظة وأتذكر بناتي وما حدث معي فلا أستطيع النوم، وأظل أخدم بالمنزل وأتحرك ولا أستطيع النوم، هل تساعدني من أجل الله ؟

رأف الطبيب لحالها، وكتب لها على أقراص منومة قوية لتستطيع النوم والراحة حتى يلتئم جرحها وتتعافى، اشترت

إنصاف الدواء، وعادت للمنزل ولم تنطق كلمة واحدة مع أمها التى كانت متعجبة من حالها وصمتها، ولكنها كانت تتفهم ما تمر به وما حدث لها.

وفي اليوم التالي أعدت إنصاف طعام الغداء للجميع كعادتها ووضعت فيه كل أقراص المنوم، العلبة كاملة وضعتها بالطعام، وحتى الطعام الذي سيتناول منه الأطفال أيضا، لقد وضعت لهم أيضا المنوم كانت تريد قتل الجميع وتنتقم لموت بناتها.

لم يهتم أحد بما تفعل، فلقد كانوا يتركونها تفعل كل شيء بمفردها، تعد الطعام وتنظف المنزل، فهي الحمارة التي تتحمل وتقوم بكامل أعمالها بلا كلل ولا تعب، ولقد دعت إنصاف عمها للغداء وأخبرت أمها بأن زوجها يريد التحدث مع عمها في أمر هام.

حضر العم وكان يعرف الموضوع مسبقا وإعتقد بأن الزوج سيحدثه في عقم إبنتهم وبأنه سيتزوج وهم لن يعترضوا فليفعل ما يريد، فهي في النهاية زوجته وخادمة في منزله وليس هناك كلمة طلاق بالعائلة لتعيش كما قدر الله لها العيش وترضى بنصيبها وتربي أولاد زوجها وتبتلع لسانها في حلقها.

***

٣ يونيو ١٩٩٢م

محافظة بني سويف -قرية أم الرجال

بعد أن تناول الجميع طعام الغداء غطوا في نوم عميق حتى الأطفال، تساقطوا مكانهم كما تتساقط أوراق الشجر في الخريف، بعد أن تأكدت إنصاف من نوم الجميع ذهبت وأحضرت الساطور من المطبخ وسكينة تقطيع اللحم بعد أن سنتها جيدا، وذهبت إلى زوجها وكان ملقى على الأرض منكفئا على رأسه، ركلته بأقدامها بقوة في رأسه كما كان يفعل معها، وبصقت على وجهه القبيح، وبعدها قامت بطعنه في صدره وبطنه، أخذت تطعن وتطعن، لا تشعر بما تفعل ولا تدري حتى كم طعنة قد طعنتها للرجل، مئه أو أكثر، لا يهم، فلقد نسيت الرياضيات منذ أخرجوها من المدرسة.

وبعدها فصلت رقبته بالسكين تماما عن الجسدكما تفصل رأس الشاه، وأخذت تنظر إلى عيونه وكانت مفتوحة تنظر لها، قالت هي بسخرية:

_ هل ترى ما أفعل يا حسان بك أم لا، أخبرني يا غراب البين؟

إستخرجت العينين وقامت بعصرهما بقوة بين يديها وهي تردد:

ـ لا يهم لا يهم، سأفعل ما تريديون جميعا.

وبعدها قطعت لسانه وأذنيه باستمتاع شديد، وقطعت بعدها الأنف وهي تمسك الرأس من شعرها بلذة، بعدها جردت الزوج من ملابسه تماما وقامت بقطع أعضائه التناسلية، كانت مستمتعة بشدة بكل جزء من لحم زوجها تقوم باستئصاله وتلقيه بعيدا بنشوة وسعادة كبيرة،كطفلة تمرح تحت المطر، وبعدها قطعت يديه ووضعتهما داخل كيس أسود للقمامة، فهاتين اليدين قتلتا طفلتيها بلا رحمة وشفقة، نظرت له طويلا ولمكان الكفين المقطوعين- ولتلك الدماء بنشوة ولم تتكلم، فتلك اليدين آذتها كثيرا وضربتها، وكانت السبب في بتر عقلة من إصبعها بكل وحشية وقسوة، وهنا ضربته بقسوة بقدميها في بطنه وأخذت تركله وتركله كما تركل الكرة، فلا يكفي حرقهما، ستجعل مصيرهما أسوأ، ستطعمهم للكلاب.

شعرت بأن ما فعلته بالزوج لم يكن كافيا، ولم يشفي ما بداخلها بعد من نيران مستعرة وبراكين ثائرة،إقتربت بالساطور وقامت بشق جسد الرجل إلى نصفين من بداية الترقوة إلى أسفل سرة الرجل، خرجت الأمعاء والأحشاء وما بداخل البطن من زمن وكأنها وجدت الخلاص للخروج من ذلك المكان الضيق الحبيسة فيه لسنوات وتريد الحرية

والانطلاق، نظرت طويلا لأحشاء الزوج واقتربت من القفص الصدري استخرجت قلب الرجل وأمسكته بين يديها، وقالت بتعجب ممزوج بالألم:

_ كنت أتخيلك بلا قلب يا حسان، شيطان تحيا على الأرض، ولكن أقسم لك بأنك كما قتلت بناتي سأقتل كل أولادك و أتناول قلوبهم، ولكنني لن أتذوق قلبك فلن أتحمل مرارته في حلقي.

أخذت تعتصر القلب الذي كان مازال ينبض بين يديها ببطء وتتساقط الدماء منه.

بعد أن عصرته تماما بصقت على جثته، وبعدها ذهبت للثاني، وكان عمها، وقامت بذبحه مرة واحدة، وفصل رقبته بلا ذرة رحمة، وبعد الذبح مباشرة وخروج تلك الدماء المتدفقة بقوة، أخذت تطعنه وتطعنه مرات ومرات، لتخرج معها ذكريات الماضي كله وهي تتذكر ضربه وقسوته معها عندما كانت صغيرة، ثم قامت بشق قفصه الصدري لتخرج القلب وتعتصره بين يديها بقسوة كما فعلت بقلب زوجها، ثم تقطع اليدين والقدمين بآلية كبيرة بعد تجريده من جلبابه الواسع وهي تضحك بحزن ولا تتكلم.

فلقد فقدت القدرة على الكلام وإخراج ما بداخلها من ألم وحسرة، ولكنها كانت سعيدة وتشعر بالإنتشاء وهذا ما

تريده، فقط السعادة التي حرمت منها لسنوات، هي فقط تريدها اليوم.

هل تتذوق طعم قلب عمها، بعد اعتصاره بين أصابعها!! لعقت أصابعها بتلذذ لتتذوق طعم الدماء المتجلطة، لقد كانت لذيذة وأعجبتها، استخرجت كبد الرجل بين يديها بعد بقر بطنه مرة واحدة بالسكين، وضعته بين أسنانها وقطمت قطعة كبيرة أخذت تلوكها باستمتاع وهي تردد:

_ ظننتك بلا قلب ولا كبد يا عمي، ألم يصعب عليك حالي عليك يوما يا رجل وأنا فلذة كبد أخيك! أتدري؟، فكبدك ليس سيء كوجهك الدميم، أخبرني ماذا فعلت أنا لك، لتزوجني من حسان بكل ما فيه من عيوب وقسوة، لا تقلق سأفعل ما تريدون، وبعدها ضحكت بسخرية عالية، بصقت بعنف وهي تركل جثة الرجل بقسوة، وقالت:

_ سوف أجعلهم لا يستطيعون التفريق بين جثتك وجثة صديقك حسان وأطفاله ستكونون جميعا شيء واحد، فكلكم متشابهون وأقسم لكم لن يتعرف عليكم أحد،ولن يستطيعوا التفرقة بين لحمك ولحم حسان وأطفاله، هل ترى مدى العار يا عمي، فلن تدفن في مقبرة عائلتك التي تفتخر بها وبنسبها.

وبعدها ضحكت بسخرية.

ـ انتظر، سأعود إليكم، فلم أنتهي بعد..

ذهبت بعدها لأطفال زوجها وقامت بكتم أنفاسهم كما كتموا أنفاس بناتها، وبعدها قامت بذبحهم وهم نائمون وفصل رقبتهم عن أجسادهم الصغيرة تماما، لم ترأف لحالهم وضعفهم، فلم يرأف أحد بحال بناتها عندما قتلوهما وهما لا تعرفان شيئا عن الدنيا، وبعدها استخرجت قلوبهم وأكبادهم الصغيرة ووضعتها على المنضدة، ولكنها شعرت بالغضب الشديد والغيرة والحسرة، فلم يكن هناك سوى ثلاثة أولاد فقط والطفل الصغير صدام.

كان الصبي عند جدته من أمه لأنه يحبها ويذهب لها دوما ويبات عندها مع خالته وزوجة عمه في نفس الوقت حورية، بعد ذبح الثلاثة أطفال، وطفلان آخران لأبناء أخي زوجها لم تشعر بأي شفقة تجاه أي صبي عند ذبحه وكتم أنفاسه، فما بداخلها لن يطفئه أي شيء سوى رؤية الدماء فقط والكثير من الجثث والأشلاء .

ذهبت لأخي زوجها وكان نائما هو الآخر منكفأ على رأسه، قامت بطعنه طعنة واحدة في قلبه لتخرج السكين من الجهة الأخرى من الصدر وتضغط بالسكين بقوة كبيرة وتلف السكين بغل كبير، وبعدها فصلت رقبته مرة واحدة بالساطور، بعد رفع الساطور الحاد عاليا لتنزل به من القفا

وتنفصل الرأس وتترك مكانها نافورة من الدماء لا تتوقف، وقطعت يديه ووضعتها بالكيس الأسود، وبعدها قامت بقسم الرجل إلى نصفين متساويين بعد نزع ثيابه وأخرجت أمعائه وأعضائه الداخلية بلامبالاة.

ونظرت للأجساد والرؤس كثيرا، وبعدها نظرت للمنضدة ولتلك القلوب الصغيرة التي استخرجتها من الأجساد، وشعرت بالجوع الشديد، فلقد أرهقها العمل وأنهكها،أخذت القلوب وذهبت للمطبخ وقامت بتحمريهم بالزيت ووضع الفلفل الأسود والملح وعصرت الليمون، لم تضع بصل ولا ثوم، بل هي تريد أن تتذوق القلوب فقط، وأخذت طبق الطعام وذهبت لتجلس جوار الجثث وتتناول الطعام بتلذذ.

لقد كانت جائعة جدا لن تنكر، ورؤية الدماء أثارتها كثيرا وجعلتها جائعة أكثر وفتحت شهيتها لتناول الطعام، كما أن رائحة القلوب الطازجة كانت شهية، فتحت التلفاز وكانت قناة روتانا زمان تذيع حفل لكوكب الشرق أم كلثوم، وكانت تردد بصوتها القوي البديع:

ما تصبرنيش بوعود..

وكلام معسول وعهود..

أنا ياما صبرت زمان، زمان...

على نار وعذاب وهوان...

أنا ياما صبرت زمان، زمان..

وهي غلطة ومش حتعود..

كانت تستمع لكلمات عبد الوهاب محمد وألحان الموجي بانتشاء شديد وسعادة، فهي من عشاق أم كلثوم، وكانت تردد خلف الست بمتعة كبيرة وسعادة وهي تتناول الطعام والجثث من حولها في كل مكان، وتشعر بالنشوة والراحة النفسية الكبيرة، وبعد تناول القلوب المحمرة للأطفال وإمتلاء بطنها فلم يعد هناك مكان فارغ، كانت تحتاج لكوب من الشاي الثقيل جدا الصعيدي، لتكمل ما بدأت في الحفل، صنعت كوب الشاى وأكملت الإستماع للست وهي تتمايل على نغمات الموسيقى، وبعد شرب الشاي استخرجت سيجارة من جلباب زوجها الممزق بجوار الجدار وهي تقول بصوت عالي:

إنما للصبر حدود..

للصبر حدود...

أكتر من مرة عاتبتك..

واديتلك وقت تفكر..

كان قلبي كبير بيسامحك..

إنما كان غدرك أكبر...

أكبر من طيبة قلبي..

أكبر من طولة بالي..

وبعدها أطلقت ضكة عالية ساخرة ووضعت السيجارة في فمهابعد إشعالها، كانت مازالت أم زوجها نائمة،لقد تركتها أنصاف ولم تؤذها أو تلتفت لها، فلقد قررت أن تحرق قلبها على فلذة أكبادها كما حرقت قلبها على بناتها وحرمتها منهما، وهي تردد خلف الأغنية قائله:

آهي غلطة ومش هتعود...

جرت جسد الزوج وجسد عمها وأخو الزوج والأطفال الثلاثة، وطفلان من أبناء أخو زوجها، كانا مازالا بالمنزل لم يذهبا مع الأم لمنزل الجدة، ووضعتهم في منتصف البهو ونظرت للأجساد العارية طويلا ، وأخذت نفسا طويلا من تلك السيجارة في فمها وأحضرت الساطور، ومازالت أم كلثوم تردد بصوتها البديع:

إنما للصبر حدود..

للصبر حدود..

متصبرنيش ماخلاص..

أنا فاض بيا ومليت...

وقامت بعدها بعملها بانتشاء شديد، كانت تقطع اللحم لمكعبات صغيرة جدا ليصعب التعرف عليها، وكانت كلما قطعت جثة كانت تخلطها مع لحم الجثة الأخرى بسعادة وهي تردد:

_ أقسم لكم لن يتعرف أحد عليكم مهما حاولوا وفعلوا لسنوات.

قامت بتقطيع الجثث إلى مكعبات صغيرة جدا من اللحم بعد ازاله الجلد وتشفية العظام ببراعة شديدة، وبعد الإنتهاء كانت الثلاث علب سجائر الموجودة بالدار قد نفدت أيضا، ومع آخر نفس أخذته أخرجت معه كل تلك السعادة في صدرها مع انتهاء حفلة الست كوكب الشرق وأغنية للصبر حدود، أخذت تنظر لكومة اللحم التي صنعتها من الأجساد كلها، هي لم تقتل من قبل، كما أنها لم تدخن من قبل، ولكنها شعرت باللذة والاستمتاع وأنهت عملها ببراعة، وكأنها قتلت ألف مرة، واستنشقت التبغ وكأنها مدمنة منذ نعومة أظافرها، ولكنها كانت تعشق أم كلثوم وسمعتها ألف مرة ومرة في السر دون أن يسمعها أحد، لأنهم كانوا يمنعونها من الاستماع للأغاني.

تثائبت باستمتاع وبعدها قررت الرحيل قبل أن يكتشف أحد الأمر ويقوموا بسجنها، فلم تنه مهمتها بعد، ستقتل كل الرجال في مصر وبعدها ستقتل كل الرجال في العالم، فهم لا يستحقون العيش، ولا يستحقون الحياة، فرجل هو من حرمها السعادة والأمان، ورجل آخر من عذبها وهي صغيرة وحرمها الطفولة، ورجل غيره هو من حرمها حقها في التعليم، ورجل هو من أهانها واستحل جسدها، حتى انه قطع إحدي أصابعها، ورجل هو من أفقدها كل مشاعر الإنسانية بداخلها، ورجل هو من قتل بناتها من قبل حتى أن تراهم وتحتضنهم وتضمهم لصدرها وتشم رائحتهم، ورجل هو من أفقدها الصبر ولم يعد بها شيء تتحمله، وستجعلهم جميعا يدفعون ثمن كونهم رجال ولن تترك رجلا يحيا، ستعود لتنتقم منهم جميعا وتقطع أيديهم التي يعذبون بها النساء، ويضربونهن بقسوة مستغلين قوتهم وعضلاتهم، ولكنها ستقطع تلك الأيادي التي امتدت يوما على أنثى وأهانتها، ستأخذ حق بناتها اللتين قتلتا على يد رجل.

وهنا إستيقظت حماتها وكان التلفاز صوته عالي جدا، وفتحت عيونها وأرادت أن تصرخ من هول ما رأت من دماء وأجساد ممزقة، ما هذا! هل تلك الرأس لأبنها الكبيرا وتلك الرأس لحفيدها الصغيرا، يا للمصيبة، هل ما تراه حقيقي أم

أنه وهم وهي تحلم؟!، نظرت إلى إنصاف وتلاقت عيونهما فقالت إنصاف بتحدي:

_ ما رأيك يا بومة في لحم أولادك وأولادهم؟، إن قلوبهم لذيذة عند تناولها أيتها البومة الشمطاء.. وبعدها أطلقت ضحكة عالية وكانت عيونها تلف في جميع الإتجاهات، نظرت لها حماتها ولم تستطع فعل شيء، شعرت بالوخز الشديد في قلبها وعدم القدرة على الكلام، كانت ترى أمامها شيطان رجيم وليست زوجة إبنها الضعيفة التي كانت دوما تضربها وتهينها ، فسقطت فاقدة الوعي بعد أن شل فمها ونصف جسدها الأيسر تماما، يبدوأن المرأة أصيبت بجلطة دماغية أفقدتها النطق والقدرة على الوقوف فسقطت على الأرض لا تستطيع الحركة، لا تصدق بأن تلك الكومة من اللحم هي لحم أولادها.

ابتسمت إنصاف وتركتها وذهبت لتبدل ثيابها بعد الاستحمام، وأثناء ذلك وضعت أيادى زوجها وعمها وأخي الزوج على النار لتسلق في إناء كبير للماء، أخذت كل الأموال والمصوغات الموجودة بالمنزل، وتلك الصورة الوحيدة الموجودة في قسيمة زواجها وباقي الصور، فكان غير مسموح لها بالتقاط الصور، أخذتها وارتدت البردة السوداء، وهي رداء أسود اللون تتلثم به نساء القرية فلا يظهر منهن

أي شيء، وأخذت القليل من ثيابها في كيس أسود، وقبل الرحيل أخذت الأيادى بعد سلقها ووضعتها للكلاب التي تحرس المنزل لتأكلها، وأخذت تنظر للكلاب التي كانت تأكل بنهم وهي تضحك بسعادة وانتشاء، وبعدها ألقت عود ثقاب على الجثث بعد أن اغرقتها بالكيروسين، تلك المادة القابلة للإشتعال، ونظرت إلى عيون حماتها ببرود وهي تردد:

_ سأفعل ما تريدون جميعا سأرحل وأغادر حياتكم.

وبعدها تحركت بهدوء وأغلقت باب الدار الكبير وهي تسمع طقطقة إحتراق الجثث، وتشم رائحة الشواء الذي أشعرها بالجوع الشديد والنهم، فهل تعود لتتذوق اللحم المشوي أم تكمل طريقها؟!.

سمعت آذان المغرب وهو يؤذن مرددا:

« الله أكبر الله أكبر »

وهي تسير وسط الحقول التي أوشكت على الظلام متجهة إلى سكة القطار الحديدية، كانت تريد الرحيل والبعد عن مدينة بني سويف، ولكن لم تكن تعرف إلى أي مدينة ستسافر، سارت مسافة طويلة ولكنها لم تشعر بتعب، وبعد ساعتين من السير على أقدامها وصلت لمحطة القطار ولحسن حظها كان هناك قطار قادم من سوهاج ومتجه إلى

القاهرة، ركبته وهو يتحرك في آخر ثانية وكادت تسقط تحت عجلاته بقسوة، لولا أحد الرجال الذي مد يده لها وأنقذها في آخر لحظة، وهو يقول بلهجة النوبين التي تجعل كل مؤنث مذكر:

ـ ماذا تفعل يا مجنون، ستقتل نفسك بغباء.

رفعت رأسها فوجدت شاب أسمر اللون كالليل، طويل وعريض الكتفين، تفوح منه رائحة المسك الطيب، يرتدي جلباب أبيض بلون أسنانه، فلم تشكره، بل نزعت يديها بشدة وذهبت لتبحث عن مقعد خالي لتجلس فيه، ولكن القطار كان ممتلىء، فجلست على الأرض بإنهاك، وهنا تقدم منها نفس الشاب وقال لها:

ـ اذهب واجلس مكاني مقعد رقم خمسين لا يصح أن تجلس على الأرض بالطريق.

وأشار للمقعد الفارغ، ذهبت دون أن تشكره مرة أخرى، وجلست على المقعد وهي تحتضن كيس ملابسها البلاستيك، لقد كانت مرهقة جدا، فما فعلته أرهقها وهي أصلا مريضة ومتعبة لم تشفى جراحها بعد وتطيب، تذكرت دوائها، فلقد بدأ جرح بطنها يؤلمها، تناولت الأقراص بدون ماء وبعدها نامت بعمق ولم تستيقظ إلا بعد عدة ساعات، وهي تشعر بمن يهزها بعنف، كانت الساعة الثالثة فجرا، ففتحت عينيها

وهي تقول:

_ ماذا حدث؟

فوجدت نفس الشاب الأسمر يقول لها:

_ لقد وصل القطار رمسيس.

رددت هي بعدم فهم:

_ رمسيس من؟

فقال الرجل بدهشة وهو ينظر لها بحيرة:

_ إلى أين أنت ذاهب، لقد وصل القطار محطة القاهرة؟

***

(٦)

نظرت إنصاف طويلا إلى الرجل وهو يقول لها بأن القطار وصل محطته الأخيرة بالقاهرة كانت الساعة الثالثة فجرا، هزت رأسها ولم تتكلم وقامت من المقعد فسمعت صوته يقول لها:

ـ هل هناك من ينتظرك بالخارج؟

لم ترد عليه، بل اتجهت لمغادرة القطار وأكملت طريقها، ولكنه اتبعها قائلا:

ـ انتظر، أهل القاهرة غير أهل الصعيد، أخبرني أين ستذهب وسوف أوصلك.

فقالت له وهي تنظر لعيونه وتمسك حقيبتها:

ـ أريد مكان أعيش فيه، فلقد هربت من أهلي ببني سويف.

رفع الرجل حاجبيه بعدم تصديق وقال لها:

ـ ماذا تقول؟ يبدو إن حكايتك حكاية، كنت أشعر بذلك وأنت تصر على ركوب القطار بعد تحركه، تعال معي وأحكي لي القصة في البيت لا تخف فأنا أعيش مع أمي في القاهرة.

لم يكن أمامها حل أخر فذهبت معه، وأخبرها بأن أسمه

عثمان من النوبة ولكنه يعيش مع أمه بالقاهرة ويعمل ممرض، ولكنه لم يخبرها مكان عمله.

ذهبت معه وكان يثرثر كثيرا ولم يتوقف عن الكلام، ولكنها كانت صامتة، تنظر للشوارع الواسعة والكباري والناس من نافذة سيارة الأجرة التي استأجرها الرجل، بعد نصف ساعة توقفت السيارة ونزل عثمان بعد أن دفع أجرة الرجل وأشار للبيت قائلا:

_ ها هو منزلي، لم تخبريني ما إسمك حتى الآن؟ فقالت بتردد:

_ إنصاف.

فردد اسمها قائلا:

_ إسم جميل لم أسمعه منذ زمن، هيا تعالي فأمي تنتظر عودتي.

كان المنزل قديم متهالك ودرجات سلمه متآكلة، صعدت إلى الطابق الرابع ورن جرس الباب، وهنا فتحت سيدة نوبية سمراء اللون كبيرة بالسن، رحبت به واحتضنته بشوق كبير ولهفة، ونظرت لها الأم بتعجب، وسألت ابنها:

_ من تكون؟

فقال لها:

_ دعينا ندخل الأول يا أمي، فأنا متعب من السفر والطريق.

دخلا وجلسا في صالون قديم جدا، فقال عثمان موجها كلامه لإنصاف:

_ والآن يا انصاف أخبرينا قصتك؟

اخذت نفس عميق وقالت:

_ لقد كنت متزوجة، ومات زوجي وأنا حامل، وبعد أن فتحوا بطني وأخرجوا الصبي مات هو الأخر، ويريد عمى تزويجي من رجل كبير بالسن في مثل عمر جدى، وأنا لا أريده واكرهه، فهربت. فقالت الأم بعد تأثرها.

مازالت تلك العادات بالصعيد وتزويج الفتاة رغما عنها ودون موافقتها لكونها مطلقة أو أرملة فعليها بالرضوخ، لا حول ولا قوة إلا بالله، لا تقلقين يا إبنتي، اعتبري نفسك في منزلك، اذهبي واغتسلي من السفر وأبدلي ثيابك، سأعد لك الطعام.

دلتها الأم على الحمام ودخلت هي وأبدلت ثيابها، وخلعت تلك البردة السوداء وارتدت عباية بنية اللون ولفت رأسها بطرحة صغيرة وخرجت للأم التي ما إن رأتها حتى قالت:

ـ تبارك الله، ما أجملك يا ابنتي، يبدوأنك صغيرة، فكم عمرك؟

فقالت انصاف:

ـ عندى عشرون عاما يا خالتي.

هزت الأم رأسها مرددة:

ـ مازلت صبية يا ابنتي والحياة أمامك، ولكن أين أمك وأبيك؟

فقالت انصاف بقسوة:

ـ ماتوا، كل من اعرفهم ماتوا ورحلوا ولم يتبقى لي أحد بالحياة، لذلك هربت يا خالة.

لم ترد الأم بل شعرت بالشفقة على تلك الفتاة المسكينة، ولكنها أيضا شعرت بعدم الراحة لها، بعد تناول الطعام دلتها الأم على غرفة الضيوف لتنام فيها، وبعد أن تستيقظ من عناء السفر سوف يكملون حديثهما، هزت رأسها ووقفت ونظرت إلى الأم وإبنها ثم قالت:

أريد فقط البحث عن مكان للعيش فيه ومكان للعمل، لن أثقل على أحد، لا تقلقون.

فقالت الأم مجاملة:

_ لا تقولين هذا يا إنصاف،ادخلي وارتاحي الآن وبعدها نتحدث.

دخلت وأغلقت باب الغرفة خلفها بالمفتاح، ونزعت ثيابها وألقت جسدها الهزيل المرهق على الفراش ونامت بعمق، لقد كانت تشعر بالأمان، استيقظت على صوت الدق الشديد على الباب، فارتدت ثيابها بسرعة وقالت بتوتر:

_ من؟

فقالت الأم:

_ استيقظى يا إنصاف، إنه آذان المغرب يا ابنتي.

لم تصدق إنصاف بأنها نامت يوما كاملا وكل تلك الساعات، فتحت الباب ولم تضع طرحة فوق رأسها وكان شعرها طويلا يغطى خصرها، ناعم بلون الليل،

لقد كانت الفتاة جميلة ونظر لها عثمان بإعجاب ولاحظت الأم نظراته فقالت الأم بضيق:

_ ضعي شيئا فوق رأسك وتعالي لتتناولي الغداء يا إنصاف.

هزت رأسها ولم ترد، وضعت إيشارب فوق رأسها وخرجت وتناولت الطعام التي كانت الأم تعده، كانت المائدة مليئة بالكثير من الطعام الشهي وما لذ وطاب، أكلت بنهم وبعدها

رفعت الأطباق وغسلتها ولم تدع أم عثمان تفعل شيء، وصنعت الشاي الثقيل، وطلبت من عثمان أن يبحث لها عن غرفة تستأجرها وتعيش فيها وعن عمل، رفض عثمان ولكن نظرة من عيون أمه فهم بأنها لا تريدها بالمنزل كثيرا، لا تعرف لماذا، إن الفتاة تبدو محترمة ومن عائلة محافظة، ولكن هناك شيء داخلي لا يحب تلك الفتاة ويرفض وجودها بالمنزل، ستتحملها فقط حتى تستأجر شقة أو غرفة حتى يستريح ضميرها، فلن ترميها في الشارع وهي في النهاية فتاة بائسة ويتيمة .



٧ يونيو عام ١٩٩٢ م

محافظة القاهرة

كانت إنصاف تجلس في تلك الغرفة التي أستأجرها لها عثمان فوق سطح المنزل المقابل لمنزله، ووجد لها وظيفة في المكان الذي يعمل فيه، وكانوا لا يحتاجون شهادة دراسية لها، المهم أن تكون قوية القلب وتتحمل ما ستراه، ولقد رأى منها الشجاعة عندما قفزت للقطار ولم تخاف أن يدهسها أسفل عجلاته، فهي لا تهاب الموت، وهم يريدون مثلها في العمل، فالكثير من السيدات اللاتي حاولن العمل لم يتحملن العمل ليوم واحد.

فقلوبهن كانت هشة وضعيفة ولكن هو يعرف بأن إنصاف التي هربت من عائلتها من إحدى قرى الصعيد ولم تخف من أحد لن تخاف من جثث، فلقد كان عثمان يعمل ممرض في مشرحة زينهم، يستقبل الجثث ويضعهم في ثلاجة حفظ الموتى، وكانت المشرحة يرد إليها العديد من الجثث المحروقة والمذبوحة والمطعونة والممسوح معالمها بسبب الغرق، والمشوهة بالأحماض، والمقتولة بالرصاص والسكين، العديد من الجثث والكثير، ونهايتهم جميعا واحدة، أجساد لا تتحرك فارقت أرواحهم الحياة، كانوا يحتاجون عاملة نظافة ولقد وافقت إنصاف على الوظيفة، بل وأعجبتها، وهي ترى جثث الرجال مشوهة كانت تشعر بالإنتشاء كلما رأت جثة رجل قادمة للمشرحة، ولقد تعلمت الكثير عن حفظ الجثث ووضعها في مادة رائحتها كريهه تسمى الفورمالين، وتلك المادة تحفظ الجثث سليمة ولا تتأثر.

***

٣٠ يونيو ١٩٩٢ م

باب الشعرية – محافظة القاهرة

دق عثمان باب غرفة إنصاف قائلا لها:

_ أريد الحديث معك قليلا، هل تأتي وتتناولين طعام

العشاء معنا، فأمي تنتظرك.

لم تقل لا، بل ذهبت معه بعد إبدال ثيابها، تعلمت أن ترتدي مثل بنات مصر، حتى لا يتعرف عليها أحد، وأثناء تناول الطعام، قال عثمان وهو يتحدث عن نفسه:

ـ هل تعرفين يا إنصاف بأنني كنت متزوج من قبل، ولكنني طلقتها لأنها كانت بور وعاقر لا تنجب.

فردت الأم بتلقائية:

ـ كانت كالبومة ربي يسامحها وأرضها بور وخراب، لا تصلح لزرع بذرة.

نظرت لهم إنصاف ببرود وآلية، وقامت لتذهب لغرفتها، فأستوقفها عثمان قائلا:

ـ إنصاف، هل تتزوجينني؟

نظرت له ببرود وقالت بجمود:

ـ سأفعل ما تريدون.

لم يفهم ردها، ولكنه يعني بأنها موافقة، شعر عثمان بالسعادة وذهب ليوصلها لغرفتها، ولكن أمه قالت له أن يصرف الموضوع عن عقله فهي ليست مستريحة للفتاة، ففيها شيء مخيف ونظراتها باردة، وليست فيها روح ولا

حياة، كما أنهم لا يعرفون عنها الكثير، ولا عن أهلها ببني سويف، ولكنه كان مصر، فلقد أعجبته منذ أن تحدث الموت لتستقل القطار باحثة عن حياة جديدة. ولن يتخلى عنها، سيعطيها تلك الحياة، هو متأكد بأن إنصاف لن تخاف منه وتتشاءم كما فعلت زوجته السابقة، ورفضت أن تكمل معه، وطلبت الطلاق،فكانت ترفض أن يقترب منها لأنه يتعامل مع الجثث والموتى، هي لم تكن عاقر ولكنها كانت تخاف لمساته لها، فأضطر لتطليقها، ولكن إنصاف لن تفعل، فهي تحب عملها كثيرا، وإن تزوجها ستنجب منه أطفال أقوياء لا يخافون من شيء ولا من الموت .

عادت هي إلى غرفتها ونيران الغضب تحرقها وتكويها من الداخل، وهي تتذكر كلمات عثمان وأمه عن زوجته السابقة وعن عقمها، مسكت بطنها مكان جرحها بقسوة واعتصرته بين يديها، وبعدها استخرجت تلك الزجاجات من الفورمالين التي كانت تسرقها من المشرحة، نظرت لتلك المادة الشفافة كالماء وهي تقول:

ـ هل ستحتفظين بالأيدي سليمة كما أريدها، فهم لا يستحقون سوى قطع أيديهم جميعا.

***

٣٠ يوليو عام ١٩٩٢ م

باب الشعرية – القاهرة

كان حفل زفاف صغير، ارتدت فيه إنصاف ثوب وردي، وارتدى عثمان جلباب أبيض، وبعد أن رحل المدعوين وذهبت أم عثمان لتجلس عند أحد أقاربها لتترك العروسين في ليلة الزفاف ليستمتعما، وعندما خلا المنزل من المدعوين، فتح عثمان هاتفه الجوال على أغنية لأم كلثوم بصوت عال، فهو يعرف بأنها تعشق الإستماع لكوكب الشرق، وكانت أغنية ألف ليلة وليلة والست تردد بصوتها القوي قائلة:

حبيبي يا حبيبي..

الليل وسماه ونجومه وقمره وسهره..

وإنت وأنا يا حبيبي..

أنا يا حياتي أنا يا حبيبي..

كلنا في الحب سوا...

والهوى آه منه الهوى...

سهران الهوى يسقينا الهنا ويقول بالهنا..

يا حبيبي ياله نعيش في عيون الليل...

ونقول للشمس تعالي، تعالي...

بعد سنة، مش قبل سنة..

دي ليلة حب حلوة..

بألف ليلة وليلة..

لم ترد بل نظرت ببرود ، بل ذهبت مسرعة إلى المطبخ وأحضرت الطعام، وقالت بهدوء:

_ تناول طعام العشاء، لقد أعددته لك بنفسي.

فنظر لها بشوق وقال بلهفة، وهو يمسك يديها:

_ ما رأيك ندع الطعام لما بعد يا إنصاف؟

فردت ببرود:

_ تناول طعامك يا عثمان لقد أعددته من أجلك.

ومدت يديها إليه بدجاجة، وهي تكمل قائلة:

_ لقد تبلتها لك بيدي.

رفض أن يحرج يديها وتناول منها الدجاجة، وأخذ يأكل فيها وهو ينظر لها طويلا بشوق، وأم كلثوم تردد بصوتها العذب قائلة:

ونقول للشمس تعالي، تعالي..

بعد سنة، مش قبل سنة

دي ليلة حب حلوة

بألف ليلة وليلة

بألف ليلة وليلة..

ومدت يدها بعصير المانجو المثلج، شرب وهو ينظر لها باشتياق ولهفة شديدة وهي تنظر له ببرود ولا مبالاة، دخلت الغرفة وهي تردد:

ـ سأبدل ثيابي، سأفعل ما تريدون جميعا.

وعندما خرجت من الغرفة كانت ترتدي ثوب أسود اللون، وتلف شعرها بإيشارب أسود اللون وكان عثمان يغط في نوم عميق ومنكفىء على وجهه على الطبق بعد أن تناول الطعام والعصير الذي وضعت له فيه المنوم، نظرت له بتقزز وأحضرت السكين من المطبخ ورفعت الرأس للخلف بعد أن جذبته من شعره بقسوة، وبعدها قامت بنحره من عنقه، بقطع الوريد الودجي بالرقبة حتى فصلت الرأس تمام عن الجسد، وخرجت الدماء كالنافورة من عنقه لتملأ الأرض، بعدها قامت بغرس ذلك الخطاف في لحم قدميه وربطت

طرفه بالحبل، وقامت بجذب الحبل في تلك العقلة من الحديد بالسقف في منتصف الصالة، فقامت برفع الجسد وتعليقه كالذبيحة بعد أن جردته من جلبابه الذي اتسخ بالدماء الحمراء، واصطبغ لونه تماما، وربطت الحبل في باب الغرفة المغلق، وبعدها قطعت كفي يديه ووضعتهما في ذلك البرطمان الذي يخللون فيه المخلل وكانت تملأه بالفورمالين.

لتحتفظ بهما سليمتين، قامت بشق القفص الصدري لتخرج أمعاء الرجل وتتدلى على الأرض كالديدان، ولكنها كانت تريد القلب، فلقد اشتاقت لتذوق قلب طازج، لقد ملت من سرقة القلوب المتعفنة لجثث الموتى من الرجال الملقاة بالمشرحة بعد تشريح الجثة وإخراج قلوبها، لم يكونوا يلتفتون أصلا لغياب قلوب الجثث، فكانت هي تأخذها لتتناولها ليلا، ولكنها ليست بطعم القلوب الطازجة التي مازالت تنبض وهي تقلى بالزيت الحار والفلفل والليمون،قامت بإعداد قلب عثمان بالزيت وبعدها تناولتها بنهم، وبعد كوب من الشاي الثقيل، قررت الرحيل، فلقد قتلت رجل من القاهرة وانتقمت في نظرها من كل رجال القاهرة، وكانت سعيدة وتشعر بالنشوة وأبدلت ثيابها وأخذت ملابسها وكل الأموال التي مع عثمان وكانت معها ومصاغ أمه، ورحلت متسترة بسواد الليل، فلقد كانت الساعة الثالثة والنصف نظرت للساعة، وإبتسمت بسخرية، فلقد دخلت ذلك

المنزل في نفس الموعد تقريبا وخرجت منه بنفس التوقيت. إبتعدت عن المنطقة وهي تحمل حقيبتها السوداء وبداخلها ذلك البرطمان الكبير الذي يد عثمان يسبحان في الفورمالين.

واتجهت إلى محطة رمسيس من جديد فلقد عرفت طريقها جيدا، محافظة جديدة لتقتل رجل فيها جديد وتنتقم من جميع الرجال بقتل رجل منهم. استقلت سيارة الأجرة وهي تقول للسائق:

ـ أريد الرحيل الى محافظة أخرى، غير القاهرة.

نظر لها السائق بتعجب وإلى تلك الحقيبة بين يديها وطريقتها ولهجتها الصعيدية بالكلام، وكلامها الغريب، فهي لا تعرف إلى أين تريد الذهاب ولا تعرف وجهتها، كان الوقت متأخرا جدا ولم لا؟فكل شيء كان مناسب جدا وستر الليل يغريه، فالفتاة الجميلة لا تعرف إلى أين ستذهب ولكنها تريد فقط البعد عن القاهرة في ذلك الوقت المتأخر، فقال لها بطريقة ذات معني:

ـ هل تأتين معي شقتي لتقضي بعض الوقت وتستمتعين؟

فقالت له:

ـ وهل تسكن بالقاهرة؟

رد مسرعا بلهفة:

ـ لا أنا أسكن بمحافظة الجيزة، بمنطقة فيصل.

ـ وهل سنركب القطار لنذهب هناك؟

ابتسم لسذاجتها، فهي لا تعرف شيء، يبدوأنه اصطاد شيئا ثمينا وسيستمتع كثيرا ويقضي وقت ممتع معها.

ـ ا سنذهب بالسيارة.

فأكمل قائلا لها:

ـ ما اسمك؟

ـ إنصاف السيد عبد السلام.

ـ اسمك جميل كوجهك يا فتاة، هل انت متزوجة؟

فقالت:

ـ لقد هربت من أهلي، يريدون تزويجي رغما عني بعد موت زوجي وليس لي أحد هنا.

فرد بلهفة وهو يظن بأنه وقع على صيد تمين حقا ليس لها من سيسأل عليها، وتبدو الفتاة جميلة وممشوقه القوام.

ـ هل تأتين معي شقتي برغبتك، سأجعلك تنسين كل الماضي في ليلة واحدة.

ردت عليه وهي تنظر ببرود لتلك الأبتسامة السمجة على شفتيه قائلة بجمود:

_ سأفعل ما تريدون جميعا.

نظر الرجل لها بتعجب من ردها الغريب، فليست هي الإجابة التي كان يود سماعها، ولكن المهم بأنها وافقت بإرادتها، ستأتي معه إلى شقته دون معاناة، وهذا هو المهم الآن، فقال لها:

_ إسمى الأسطى حسن النمر، يمكنك مناداتي بأبو سمرة.

نظرت له ببرود ولم ترد، ولكنها أخذت تنظر لتلك الكباري والشوارع الخالية من المارة، وكانت تشعر بالجوع الشديد، فلقد هضم قلب عثمان سريعا، فهل بسبب طيبته المفرطة؟، فهل قلوب الطيبون سريعة الهضم،؟، ونظرت للسائق كانت تراه يشبه الثعالب، فنظرات عيونه ماكرة، فهل سيسد قلبه شبعها يا ترى؟.

***

(٧)

١ أغسطس عام ١٩٩٢ م

فيصل – محافظة الجيزة

توقف الأسطى حسن أمام منزل قديم مكون من دور واحد في منطقة شبه منعزلة بجوار أرض كبيرة فارغة وفيها العديد من أكياس القمامة والكثير من الكلاب، وكان البيت تقريبا هو الوحيد بالمنطقة، تلفت الرجل يمينا ويسارا، وفتح لها باب السيارة قائلا:

ـ إنزلي بسرعة يا إنصاف قبل أن يراك أحد.

نزلت بلامبالاة وهي تحتضن حقيبتها السوداء بقوة، فتح باب المنزل وكان المدخل مغلق، وقال لها:

ـ لا تخافي،انتظري سأنير المكان.

وبعدها ضغط على زر فأنار المدخل وكان مليئا بالقاذورات ورائحته كريهة، فتح باب الشقة بجوار الدرج وقال لها:

ـ تعالي ادخلي واعتبري المنزل منزلك، لا تخافي لا يعرف أحد شيء عن المنزل ولا حتى تلك الأرنبة في المنزل، التى لا تعرف سوى إنجاب الأطفال.

وأطلق بعدها ضحكة عالية ساخرة..

ـ سأضع السيارة بالجراج وأحضر بعض الطعام، لن أتأخر حتى تبدلي ثيابك.

دخلت بلامبالاة وكلماته أثارت غضبها كثيرا، أغلق عليها باب المنزل بالمفتاح من الخارج، وبعدها سمعت إغلاق الباب الحديد للمدخل وذهابه بالسيارة.

دخلت الشقة كانت قذرة جدا والكثير من بواقي الطعام والحشرات في كل مكان، كان هناك غرفة صغيرة فيها فراش وخزانه ثياب، وبعض ملابس النساء الداخلية ملقاة على الأرض، أخذت تتجول بالمكان ونظرت للسقف وكان هناك حلقة معدنية مثبته في اعلى الجدار، دخلت المطبخ فوجدت فأر يجري مسرعا، مسكته من ذيله وأخذت تنظر لعيونه المذعورة بين يديها وقلبه الذي يدق بسرعة، فقالت له:

ـ هل أنت ذكر أم أنثى؟، إن كنت ذكر أكلتك وإن كنت أنثى تركتك.

وهنا حاول عض إصبعها.

فقالت:

ـ يبدوأنك ذكر لعين.

فأمسكت الرأس الصغير بيديها الأخرى وأعادتها للخلف مرة وأحدة ففصلتها، وبعدها وضعتها في فمها وأخذت تلوكها بين أسنانها، وألقت بالجسد أرضا، وهي تردد:

ـ جرذ لعين..

وجدت أسفل الحوض حبل سميك، أخذته وأخرجته من أسفل الحوض، وكان هناك مكنسة وجاروف، أحضرتهم وذهبت ونظفت الشقة بسرعة ، فلقد كانت تحب النظام والنظافة منذ صغرها، ومسحت الشقة، وبعدها دخلت لتغتسل وتبدل ثيابها، وعندما خرجت وكان شعرها مفرود تتساقط منه قطرات الماء وترتدي ثوب ضيق وجدته أمامها ينظر لها بشغف، فقال لها:

يبدو أنك لست جميلة فقط يا إنصاف، بل نظيفة ونشيطة أيضا، فكيف نظفت كل الشقة في أقل من نصف ساعة؟!

لم ترد بل كانت تنظر للطعام بين يديه والأكياس فقالت له:

ـ دعني أعد الطعام لك.

ترك لها الأكياس وقال لها:

ـ سأبدل ثيابي وجهزى أنت الطعام سريعا، فأنا جائع ومشتاق.

فقالت له بلامبالاة وجمود:

_ سأفعل ما تريدون جميعا.

لم يهتم بكلامها الغريب، لقد أثاره غموضها وشعرها المبتل، أعدت الطعام وخرج هو وكان يرتدي سروال قصير فقط، ولايرتدي شيء آخر، نظرت له ببرود قائله:

_ تناول طعامك.

أخذ يأكل من الطعام الساخن الذي أحضره.

وقالت له:

_ سأبدل ثيابي.

فقال بتعجب:

_ ألم تأكلي معي يا إنصاف؟

نظرت له ببرود ولم ترد، ودخلت للغرفة وأغلقت الباب خلفها، وأخذ هو يتناول طعامه ويمني نفسه بليلة حمراء، خرجت بعد قليل وقد ارتدت ثوب أسود اللون ولفت رأسها بإيشارب أسود قصير، وكان هو منكفىء على رأسه ويغط في نوم عميق بعد أن تناول الطعام الذي وضعت فيه المنوم.

أخرجت سكينتها الحادة من حقيبتها وكانت مازالت دماء

عثمان عالقة فيها، فلم تنظفها، نظرت بتقزز ودخلت دورة المياة نظفت السكين جيدا وعادت للرجل.

لا تدري فاحتقارها لما كان يريد فعله معها وخيانة زوجته جعلها تشعر بالبشاعة، فنظرت له طويلا، وقالت:

ـ سأجعلك تستمتع كما تريد.

كممت فمه بقطعة من القماش القذر الذي وجدته في القمامة بالمطبخ، وبعدها ربطت قدميه بالحبل جيدا، وصعدت فوق أحد المقاعد وأدخلت الحبل في تلك العقلة الحديد بالسقف، وبعدها جذبت الحبل بقوة وارتفع جسد الرجل عاليا، وبعدها ربطت طرف الحبل في مقبض باب الغرفة، وأخذت تنظر لذلك الجسد المتدلي أمامها معلق كالذبيحة من قدميه، وكان هناك مذياع قديم قامت بفتحه وكانت اغنية قديمة لكوكب الشرق أم كلثوم تدندن بصوتها الرائع، وضعت سيجارة في طرف فمها من سجائر عثمان التي احتفظت بها وأشعلتها وهي تدندن النغم الرائع لبليغ حمدي قبل ان تبدأ الست بالغناء.

وبعدها أخذت تنظر ليدي الرجل المتدليتين، وذهبت للمطبخ أشعلت النار على الموقد القذر، ووضعت سكين كبير كان موجود على الحوض وجدته وهي تنظف وجعلته يسخن حتى إحمر لونه، مسكته من طرفه البارد وخرجت،

وقامت بقطع إحدى يدي الرجل من الكف مرة واحدة بالسكين الملتهب، وهنا إستيقظ الرجل من شدة الألم وفتح عينيه بذعر، لا يصدق ما يحدث له وهو يرى كل شيء مقلوب أمامه وهو معلق من قدميه كالذبيحة بلا ثياب،وصوت أم كلثوم يردد من حوله

فات الميعاد..

وكانت الفتاة التي أحضرها منذ قليل تمسك يديه المقطوعة بين يديها وتبتسم مرددة:

_ سأفعل ما تريدون جميعا..

لقد ندم الرجل على ما فعل وما كان ينتويه من إغضاب الله وفعل الفاحشة، وخيانة زوجته، لقد فعلها كثيرا ولكنه الآن نادم عندما رأى الموت بعينيه ويريد التوبة، حاول الصراخ، كان الألم شديد لا يحتمل، ليأتي أحد وينقذه من تلك المخبولة التي قطعت يديه بلا رحمة ولا ذرة ضمير، ولكن فمه كان مقيدا، ولم يستطع فعل شيء سوى سماع أم كلثوم وهي تردد:

فات الميعاد..

فات الميعاد..

وتفيد بأيه الندم..

يا ندم...

وتعمل ايه يا عتاب..

طالت ليالي الألم..

واتفرقوا الاحباب..

وكفاية بقى تعذيب وشقى...

وكأن أم كلثوم كانت تشعر في تلك اللحظة بمدى ألمه وعذابه، وما بداخله من ندم وحسرة على ما كان يفعل، لترد عليه بصوتها القوي وصوتها يتردد في أذنه قائلة :

تعتب عليا ليه...

أنا بأيديا ايه...

تعتب عليا ليه..

انا بايديا ايه...

فات الميعاد...

فات الميعاد..

إقتربت هي بلامبالاة من اليد الأخرى وقامت ببترها بهدوء

شديد واستمتاع، وهنا أغراها الجسد العاري للرجل وصوت الست الرائع مازال يردد:

تعتب عليا ليه..

أنا بإيديا ايه..

فات الميعاد..

لتحفر باستمتاع وفن بتلك السكين فوق صدره وتجرب هل سيتألم عند الحفر على لحم الصدر؟ أخذت تحفر بمدية صغيرة وجدتها بمطبخ الرجل وهي تستمع للموسيقى البديعة لبليغ حمدي بهيام وتدندن، وكتبت

«سأعود إليكم - سأفعل ما تريدون.»

كانت صورة إبن زوجها صدام في عقلها وهي تكتب العبارة، فسوف تعود يوما من أجله لتأكل قلبه وتحرم حسان من نسل يحمل إسمه كما فعل معها، أخذ الرجل يحاول المقاومة، وهنا زاد غضبها، فتحولت لبركان ثائر، فجذبته من شعره القصير للخلف، وقامت بنحره مرة واحدة وقطع رقبته، وأمسكتها بين يديها بتقزز وإلى تلك العيون المذعورة والهلع المرسوم فيها، فقامت بفقأ العينين بسكينتها الصغيرة وهي تردد خلف كوكب الشرق أم كلثوم مرددة

بس أنا نسيت الابتسام..

زى ما نسيت الآلام...

والزمن بينسي حزن وفرح ياما...

وبعدها دخلت وأحرقت الرأس على النار بتلذذ ونشوة، وخرجت للجسد المعلق أمامها قامت بشق البطن وبقرها مرة واحدة لتخرج أمعاء الرجل أرضا ، وتركت الصدر سليما، بكلماته المحفورة على اللحم، أدخلت يديها باحثة عن قلب الرجل، ومازال الصوت يردد بعذوبة مقطع:

تفيد بإيه يا ندم..

وتعمل ايه يا عتاب..

طالت ليالي الألم..

واتفرقوا الأحباب..

وهنا أخرجت القلب بقسوة وهي تتذكر طفلتيها اللتين لم ترهما حتى ولم تشم رائحة شعرهما، وبعد إخراج قلب الرجل، نظرت له طويلا والدماء تملأ يديها، وهنا تذكرت حسان زوجها السابق وما فعله معها، وكيف قام يوما بقطع عقلة من إصبعها الصغير من يديها اليمنى عندما ضربها بالساطور وهو يقطع أضحية العيد الكبير، وعندما رفعت

يديها لتحمى وجهها طارت عقلة إصبعها يومها في العيد لتختلط مع دم الأضحية، نظرت للإصبع المبتور وتنهدت بحرقة، وبعدها دخلت المطبخ وقامت بطهي القلب بالزيت والملح والفلفل الأسود والليمون وتناولته، وبعدها صنعت كوب من الشاي الثقيل، وأخذت تنظر طويلا لجسد السائق وهي تستمع لكلمات الست الرائعة وتزفر دخان سيجارتها بقوة متنهدة، لقد كانت الست تعبر عما بداخلها من نار وحسرة وكأنها تناجيها وتغني من أجلها هي فقط، وتعلم ما بداخل قلبها من ألم وعذاب على فراق طفلتيها،وذلك العذاب الذي عاشته في حياتها، وسهرها الليالي ومعاناتها في أغنية فات الميعاد التي تعبر عما يجول بخاطرها بتلك اللحظة تماما، فأم كلثوم تغني لكل شخص على حدة وكأنها تغني له هو فقط، وتجسد قصته دون العالم أجمع وتعرف ما بداخله من مرار وألم كان الصوت يردد بقوة ...

الليل الليل...

ودقة الساعات تصحي الليل..

وحرقة الآهات في عز الليل...

وقسوة التنهيد..

والوحدة والتسهيد..

لسه مهمش بعيد..

وعاوزنا نرجع...

زى زمان...

قول للزمان...

ارجع يا زمان...

تفيد بإيه يا ندم..

وتعمل إيه يا عتاب..

طالت ليالي الألم..

واتفرقوا الأحباب..

وكفاية بقى تعذيب وشقى..

ودموع في فراق..

ودموع في لقا...

تعتب عليا ليه

انا بإيديا إيه...

فات الميعاد...

كانت تستمع بتأثر كبير وذكريات الماضي تمر أمام عينيها

كشريط وفيلم سينمائي، الضرب.. الإهانة.. قطع إصبعها.. إزالة رحمها.. والنهاية موت طفلتيها دون رؤيتهما.. عندما وصلت الست أم كلثوم بصوتها الرائع إلى مقطع:

من ناري وطول لياليا..

وفرحة العزال فيا

وقسوة الدنيا عليا...

بيني وبينك هجر وغدر..

وجرح في قلبي داريته..

بيني بينك..

ليل وفراق...

وطريق..

إنت اللي بديته..

تفيد بأيه..

يا ندم..

وتعمل ايه يا عتاب..

طالت ليالي الألم...

لم تستطع إنصاف أن تكمل باقي الأغنية، فقامت وألقت المذياع القديم على الأرض بقسوة، لتحطمه وهي تقول:

_ فات الميعاد.. فات الميعاد، سآكل قلبك يا صدام حتى لو كان آخر شيء أفعله في حياتي، فلن يكون لحسان أي نسل وذرية، وسأقتل كل الرجال بالكون، فهم لا يستحقون الحياة ولا الهواء، إن كان بإمكانها أن تمنع عنهم الهواء لمنعته عنهم، ولكنه ملك الله وحده، ومن شدة غضبها أخذت السكين وأخذت تطعن جثة السائق المعلقة ومتدلي ما في بطنها في أسفل ظهره بقسوة، وبعدها أسرعت للمطبخ وأحضرت قطعة من القماش المشتعلة، وأشعلت النيران في جسد الرجل، كانت غاضبة، ثائرة، ولكن النار لم تحرق سوى شعيرات الرجل التي تملىء جسده و لم تحرق اللحم كاملا، لم تبالي، فرائحة الشعر المحترق جعلتها تهدأ قليلا، أخرجت سيجارة من علبة سجائر الرجل ووضعتها في فمها، لأن سجائر عثمان نفذت كلها، وبعدها إتجهت للغرفة لتنام قليلا، وعندما فتحت مقبض باب الغرفة وحركته سقطت الجثة المعلقة من أقدامها على الأرض مرة واحدة، لم تبالي، أحضرت ثياب نظيفة وبعدها إغتسلت وأبدلت ثيابها، وغطت في نوم عميق من التعب والإرهاق، أخبرها السائق قبل موته بأن تلك الشقة في مكان معزول لا يعرف عنه شيئا من أقاربه ولا حتى زوجته، وأم أطفاله أو الأرنبة كما وصفها لكثرة ولدها، ويقوم

فيه بفعل ما يريد بعيدا عن أعين الناس، والغريب بأن نهايته كانت بعيدا أيضا عن أعين الناس، فلما هو غاضب؟

***

استيقظت على صوت آذن الظهر، وهو يردد «الله أكبر..الله أكبر»، فقامت من الفراش وخرجت للصالة وزفرت بغيظ عندما شاهدت كفين السائق مازالتا على المنضدة ولم تضعها بالفورمالين، أخرجت البرطمان الذي في حقيبتها، ووضعت فيه الكفين ليسبحان مع اختيهما، ونظرت إلى جسد الرجل الملقى على الأرض طويلا، وقررت الرحيل ولكنها كانت جائعة، استخرجت كبد الرجل وكان مازال بداخل البطن لم يخرج مع الأمعاء، أدخلت يديها واستخرجته وقامت بطهيه، وتناول الطعام وبعدها كوب من الشاي الثقيل وبعدها دخلت أبدلت ثيابها وحملت حقيبتها السوداء التي تحوى تلك السكين الحادة بعد تنظيفها جيدا، وبرطمان الفورمالين، وثيابها القليلة، وأخذت ما في محفظة الرجل من مال ورحلت لمحافظة أخرى، ولكنها أخرجت تلك الورقة الكبيرة التي كتبت فيها كل محافظات مصر ووضعت علامة صح على الجيزة، كما وضعتها على محافظة القاهرة.

أكملت مهمتها في محافظتين بنجاح وعليها إختيار محافظة جديدة، نظرت لكل تلك المحافظات وقالت:

ـ الإسكندرية.. لقد تمنيت منذ الصغر أن أرى البحر يوما، وآن الآوان لأحقق ما أريد قبل فعل ما يريدون.

(٨)

٥ من سبتمبر عام ١٩٩٢م

الأنفوشي – الأسكندرية

قال بغضب شديد:

_ ماذا تقول يا ولدى؟، هل تريد أن تتزوج غجرية من الحلب لا نعرف من أين أتت وما مدينتها وأصلها وفصلها؟

قال الابن بانفعال:

_ ماذا تقول يا أبي!، وما أدراك أنت بالحلب والغجر لا أفهم، فإنصاف تعيش معنا منذ أكثر من شهر، وتعرف أخلاقها جيدا، فلم ترفع عينيها في أحد، وتساعدنا في المراكب منذ وطئت أقدامها بحري وعرفنا قصتها وقصة موت زوجها وهروبها من أهلها لأنهم يريدون تزويجها رغما عنها من رجل كبير في عمر والدها، ولم تجد من يدافع عنها بعد موت والديها.

زفر الأب بغضب:

_ ومن أدراك بأن قصتها حقيقية يا ولدي، لقد أخبرني الريس عويس بأنها ربما حلبية وهربت من أهلها في الصعيد، اصبر لنتأكد من قصتها أولا، فقلبي لا يرتاح لها ولا لنظرات

عيونها أبدا.

شعر حمدي بالغضب:

ـ يا أبي، أنت يا ريس الصيادين يا من يلجأ له المحتاج وينصفه، يا ريس عبد الواحد يا كبير صيادين بحري ورأس التين وربما الأسكندرية كلها.

ابتسم الأب لكلام أبنه الصغير قائلا:

ـ يا حمدي أنا لا أقل شيء بطال لا سمح الله عن الفتاة، فهي تعيش معنا منذ شهر، وأشهد لها بالأخلاق والسمعة الطيبة والنشاط والحركة فالفتاة قوية كالرجال وتقوم بأعمال الصيد معنا وتساعدنا بالمراكب ولا تشتكي ولا تمل ولا حتى تتعب، ولا تقول كلمه ألم فهي قوية كالفولاذ، ولا ترفع صوتها على أحد، فهي نظيفة ومرتبة كما تقول أمك عنها وتشهد لها، ولقد أجرت لها الغرفة فوق سطح منزلي عندما جاءت وطلبت مساعدتي ولم أرفض، فلم أردها وأغلق بابي في وجه أحد، ولكن لما يا ولدي تتزوج من عزباء لا نعرف أصلها ولا حكايتها؟!

رد حمدي بعناد:

بعد موت زوجتى رحمها الله لم تعجبني أي إمرأة وتملأ عيني إلاإنصاف فيها شيء غريب يجذبني إليها يا حاج عبد

الواحد وأريدها زوجه لي لتربي بنتي، فأنت لا تعرف كيف تتعامل معهما وتحبهما وتشتري لهما بكل يوميتها الحلويات لترهما يضحكان فقط، فمنذ رحيل أمهما لم يعطف عليهما أحد كما تعطف عليهما إنصاف وكأنهما بناتها حقا، وهذا ما يجعلني أريد الزواج منها فلا يهمني قصتها يا أبي.

لم يرد الرجل فلقد رأى بعينه كيف تعامل إنصاف الطفلتين وتحبهما بصدق وتحضر لهما بكل ما تأخذه من يوميه حلويات، والطفلتان تعلقتا بها حقا وأحباها، فلم تعطف عليهما أي أمرأة إختارها لأبنه ليتزوجها غير تلك المرأة هو يعرف، ولكن هناك شيء لا يريحه في إنصاف ويجعله ينفر منها رغم أدبها.

وبعد محايلات وشد وجذب وافق الأب على تلك الزيجة، وقال حمدي لإنصاف وهما في رحلة الصيد في عرض البحر:

_ هل تقبلين الزواج منى وأن تصبحي أم لبناتي؟ نظرت له وكادت أن تبتسم لولا أن أكمل قائلا:

_ أريد أن أنجب الولد، أخ لهما ليكون سند لهما وعكاز يتسندون عليه وسند لي عندما أكبر، فالفتيات ليستا سند ولا عزوة يا إنصاف، فهم مصائب وابتلاء من الله حتى يكبرن، نظرت له ببرود شديد قائلة:

ـ سأفعل ما تريدون جميعا.

نظر لها بدهشة، فردها كان غريب ولا يتناسب مع الموقف، فهو وحده من طلبها للزواج، ولكنه إعتبره ردا بالموافقة، فضحك بسعادة وقال لها:

ـ ما رأيك بالأسبوع المقبل نعقد القران وندخل؟ نظرت له بلامبالاة مرددة بجمود :

ـ سأفعل ما تريدون جميعا..

***

١٥ من سبتمبر ١٩٩٢م

الأنفوشي – الأسكندرية

في حفل بسيط فوق سطح منزل شيخ الصيادين الريس عبد الواحد، تم زواج حمدي إبنه على إنصاف، وكانت ترتدي ثوب وردى اللون وتلف شعرها بطرحة وردية، وكانت الطفلتان سعيدتين بزواج أبيهما من إنصاف، فهما يحبونها بشدة، فهي تحضر لهما الكثير من الحلوى والألعاب.

بعد إنتهاء العرس دخل الزوجان الشقة، وقالت إنصاف للرجل:

ـ سأعد لك الطعام.

فقال لها:

ـ ولكنني تناولت طعام العشاء مع الرجال منذ قليل.

فقالت له:

ـ ولكنني أعددت لك الطعام بيدي فهل سترفض؟

فقال:

ـ لا، لن أرفض، سأتناول ما أعددت يا حبيبتي، فلا تعرفين كيف وقعت في حبك منذ اللحظة الأولى التي وجدتك فيها في البحر تنظرين له ولم تهمك مراكب الصيادين القادمة ولم تتحركي حتى من مكانك، كنتي صامدة وثابته كالهرم يا إنصاف، لم يهزك شيء، ولقد عجبني ذلك.

لم ترد، بل قدمت له الطعام وبعض عصير الفراولة وهي تردد بجمود:

ـ لقد أعددت لك العصير بيدي.

تناوله من بين يديها وتجرعه كله مرة واحدة، وبعدها أكل الطعام وهو ينظر لها بهيام وهي لا تتكلم، فقالت:

ـ سأذهب وأبدل ثيابي.

لم تنتظر لتسمع ما يقول، بل دخلت غرفتها لتبدل ثيابها.

***

١٦ من سبتمبر ١٩٩٢

الأنفوشي الأسكندرية

الساعة العاشرة مساء، قالت الأم بقلق:

ـ إن حمدي لم يرد أيضا يا حاج عبد الواحد ولا أدري، فقلبي غير مستريح، وأشعر بأن هناك شيء خطأ، فقال الأب:

ـ اتركيه وشأنه، فهو عريس وفرح بعروسته. قاطعته الأم بقلق:

ـ وهل هو عريس يا حاج عبد الواحد لأول مرة؟ فهي ثاني مرة، وحتى إنصاف فهي عزباء وليست بكر وليست عروس لم تتزوج من قبل، أنا قلقة على ولدي يا عبد الواحد لا أدري، فقلبي غير مستريح منذ أمس أقسم لك.

وبعدها أخذت تبكي بطريقة هيستيرية وغير مبررة.

نظر لها الزوج وهو لا يدري ماذا يقول، فهو نفس شعوره السيء، فهو غير مستريح لزوجة إبنه بالمرة، ولم يكن يريدها، ولكن أمام إصرار الإبن إضطر للموافقة، وكان ابنه معجب بها حد الجنون، وكانت هي محترمة ومحتشمة لن ينكر، ولكنها غير مريحة أبدا، فيها شيء خاطىء وغريب

يجعل المرء ينفر منها بلا سبب.

فلا يعلم ما الذي أعجب حمدي بها من الأساس، فقال الأب بقلق:

_ غدا يا زينب إن لم يفتح الباب سوف أكسره عليه، ولكن لا يصح اليوم في الصباحية.

فقالت له بإصرار:

_ لا الآن، أريد حتى سماع صوت إبني الآن، فليرد من خلف الباب ولا يفتح لنا، ولكنه حتى لا يرد وكأن المنزل مقبرة.

شعر الريس عبد الواحد بالقلق أكثر وأخذ ذلك الفأر يلعب ويجري في عقله، فقام ذاهبا لشقة إبنه في الدور الذي أسفل منه، وأخذ يدق الباب ويرن الجرس ولكن بلا جدوى وكأن المنزل خالي ولا يسمع صوت أحد، وهذا ما زاد قلق الرجل أكثر، أخذت الأم والطفلتان والجميع ينادوا على العريس ولكن بلا فائدة، وتجمع أشقائه وبعض الجيران وهم ينادون عليه بلا جدوى فقال أحد الجيران:

_ إن كانوا موتى كانوا سيستيقظون، هناك شيء غريب لابد من كسر الباب يا ريس عبد الواحد.

كسروا الباب ودخل الجميع، ووقتها فقط تمنوا بأنهم لم

يفعلوا ولم يدخلوا تلك الشقة الملعونة، أخذت الطفلتان تنظران لجسد أبيهما المعلق من قدميه ومغروس فيهما خطاف سنارة حديد ومفصول الرأس، ومقطوع اليدين، ومحفور على صدره«سأفعل ما تريدون»، وبطنه مبقورة وخارج كل ما فيها متدلي منها في منظر دموي مقزز، لم تستطع الأم تحمل منظر إبنها وما حدث له فسقطت ميتة، وسقط الريس عبد الواحد فاقد الوعي، وقام الكثير من الحاضرون بإفراغ ما في جوفهم بهلع، فمن فعل ذلك بالرجل، كان الرجل طيب القلب ومحترم ولم يضايق أحد يوما، فلماذا يحدث له ذلك.!

فقال أحدهم:

_ وأين إنصاف؟

بحثوا عنها في الشقة فلم يجدوها، تبخرت العروس فقال أحدهم:

_ لقد قتلته الملعونة، لقد قلت له بأنها حلبية ولكنه لم يصدقني.

وصرخ في وجوههم ليبلغوا الشرطة والإسعاف.وكان الجميع يفكرون، أين رحلت ولماذا قتلت الرجل وذبحته هكذا؟ فماذا فعل لها، لقد لمها من الشارع ولم يعرف أصلها

ونسبها، لقد أحبها وكان هذا كافي لها ولكنه كان غبي، فمنذ متى الحب وحده يكفي؟

وكانت إنصاف قد وصلت لمحافظة أخرى من محافظات مصر لتكمل إنتقامها من الرجال وتقتلهم وتمثل بجثثهم، بعد الإحتفاظ بكفيه وقطعهما لتأخذهما معها في البرطمان الذي تحتفظ فيه بالفورمالين والأيادي المبتورة.

***

ظلت إنصاف تنتقل من محافظة إلى أخرى تقتل بكل مدينة تزورها رجلا لتشعر بالراحة وتشفي غليلها بنحره وفصل رقبته وإخراج ما بداخل بطنه وتناول قلبه، هي تريد أن تشعر هل يشعرون بتلك القلوب في صدورهم ويتأثرون، لذلك هي تتناولها بتلذذ، وتحتفظ بالأيادي حتى لا يعذبون بها أمرآة أخرى في الجحيم ، وتعلمت في مدينة طنطا، عندما عملت كعاملة في مصنع للكمياويات والمنظفات، تعلمت كيف تصنع حمض قوى تحرق به الأعضاء بدون الحاجة لإشعال النيران، فكانت تتلذذ بإحراق نصف أجسادهم السفلية وهم معلقون بخطاف من الحديد من أرجلهم كالذبائح، استمرت عام كامل وهي تلف من مدينة لأخرى، تقتل في الرجل تلو الآخر بكل وحشية، منهم من قتلته يوم زفافه، ومنهم من قتلته لطمعه في جسدها، ومنهم

من ساعدها، ومنهم من قدم لها المأوى والأمان ولكنها كانت تقتل بلا رحمة ولا تتذكر لأحد شيء جيد ولا حسنة فعلها معها.

***

فيكفي بأنه رجل وأوقعه الحظ السيء في طريقها، لقد أصبحت اكثر قسوة ووحشية حتى لقبتها الشرطة بالمدرعة، كتيبة الإعدام، لما تفعله بضحاياها عند الموت، لقد تابعتها الشرطة ونصبت لها العديد من الكمائن ولكنها كانت تهرب في كل مرة، لم تكن لها وجهة محددة ولا مكان محدد، هي تسافر للمدن والمحافظات بعشوائية، تحمل ورقتها بين ثيابها القليلة لتحذف المدينة التي نفذت فيها انتقامها، لا يهمها أين ستأخذها أقدامها، فهي تعمل أي مهنة تقابلها وتنفذ مع أول فريسة تقع في شباكها بلا ذرة رحمة وتعاطف، فمنذ متى ترحم المدرعات أعدائها؟

حتى نفذت جرائمها في ٢٨ محافظة من محافظات مصر، ولم يتبقى لها سوى محافظة أسوان وبعدها تعود لبني سويف لتلتهم قلب الصبي المتبقى من نسل زوجها السابق صدام الذي كان يبلغ من العمر ثماني سنوات، لا يهم ماذا سيفعلون بها، المهم بأنها تشفي تلك النيران المستعرة بداخل صدرها.

ولم يطفئها قتل من قتلت ولم تروها دمائهم التي تذوقتها ، كانت تستقل القطار المتجه لأسوان تنظر للحقول الخضراء وهي تتذكر ما فعلته على مدار العام، تتذكر نظرات الذعر في عيون من ذبحتهم، أخذت إحدى السيدات في الصف الآخر من القطار تنظر لها بذعر كبير وخوف، وتحاول أن تداري عيونها عنها برفع طرحتها السوداء فوق وجهها، وكانت المرآة هي خالة عثمان ضحيتها الأولى في مدينة القاهرة، لقد حضرت المرأة حفل زفافها وأكلت معها يوما وتحدثت معها قبل الزفاف، فلم تنسها المرأة ولم تنسى ما فعلت في إبن أختها عثمان رحمه الله، وكيف قتلته بوحشية شديدة ومثلت بجثته، وعندما توقف القطار في محطة أسوان نزلت إنصاف وهي تحمل حقيبتها السوداء بين يديها وترتدي ثوب أسود وتترك شعرها الأسود الطويل بلا رباط خلف ظهرها، لقد تغيرت ونزعت الحجاب عن رأسها ولكنها تعرفت عليها، فنظراتها الباردة الخالية من الحياة كما هي لم تتغير حتى لو غيرت من شكلها وثيابها وعقلة إصبعها المقطوعة علامة مميزة..

عندما توقف القطار نزلت إنصاف ولم تلاحظ حتى تلك العجوز التي كانت تراقبها باهتمام، طوال الثلاث ساعات الماضية، نزلت السيدة بتوتر ورعب وأسرعت تركض إلى قسم الشرطة لتقوم بالإبلاغ عن إنصاف، فهي تحفظ إسمها

عن ظهر قلب، وكانت دوريات الشرطة بكل المحافظات في مصر على علم بما تفعله تلك السفاحة، وينصبون لها الكمائن بلا جدوى، فكان بلاغ المرأة هام جدا لأنها شاهدتها عن قرب يوما، وشاهدت عقلة إصبعها الصغير في يدها اليمين وهي مقطوعة، وكانت تلك العلامة مميزة وكافية لتؤكد لها.

بعد البلاغ في قسم الشرطة وإخبارهم بأن القاتلة موجودة بمدينة أسوان، كانت الشرطة تعرف بأن القاتلة تستخدم نوع من الأقراص المنومة عند تشريح جثث الضحايا، وكانت تضع كمية كبيرة من الأقراص للضحايا بالطعام لتتمكن منهم، كانت نحيفة الجسد، وبعد بلاغ المرأة قامت الشرطة بعمل كمين في جميع الصيدليات بالمدينة، ومنع بيع ذلك الدواء بالذات وتوجيه حامل الروشتة إلى صيدلية واحدة كبيرة وتحتوي على كاميرات مراقبة، وتم عمل الكمين لإنصاف ومنع بيع الأقراص المنومة إلا في الصيدلية التي حددتها الشرطة، وتم نصب الكمين، وكانت الشرطة تبحث عنها والمخبرين في كل مكان بالإتفاق مع مديرية أمن القاهرة، فالقضية كانت قضية رأي عام وبشاعة الجرائم كانت تثير الرأى العام والناس، ولكنها كانت قد تبخرت بأسوان فلا أحد يعرف عنها شيء، كانت رغم عدم تعلمها ذكية جدا وماهرة في اصطياد ضحاياها والإيقاع بهم وتنفيذ مهمتها بقتلهم.

٣٠من أغسطس ١٩٩٣

محافظة أسوان

وبعد ثلاث ليال دخلت إنصاف بثبات ترتدي ثوب أسود وتحمل روشتة قديمة من مدينة بني سويف وفيها إسم الدواء المنوم المذكور والمحظور بيعه بأمر الشرطة، فقال الطبيب لها بأن الدواء لن تجده إلا في إحدى الصيدليات الكبرى وأخبرها إسم الصيدلية ومكانها، وعندما ذهبت لصيدلية أخرى، نفس الكلام يكرره الطبيب، فأضطرت للذهاب للصيدلية التي كانت الشرطة تنصب فيها الكمين، وأخبروها بأن الدواء سيتوفر غدا، وبعدها إتبعوها ليعرفوا مكانها، كانت تسكن في شقة استأجرتها من أحد السماسرة، وطلبت منه إيجاد عمل، وكان الرجل يراقبها ووعدها بأنه سيجد لها عمل مناسب، وكان يعتقد بأن تلك الحقيقبة السوداء التي لا تستطيع حملها إلا بالكاد تمتلىء بالأموال والمصوغات، فطمع الرجل فيها، فقرر اقتحام الشقة عليها وهي نائمة لسرقتها، ولكنها كانت لا تنام وتستيقظ لأقل حركة، شعرت به واستيقظت لتجده يقف أمامها وفي غرفة نومها ويمسك سكين كبير يهددها به، ينظر لها بطريقة غريبة لم تهتز أو تخف، فقال لها:

ـ أين أموالك والذهب، أريد كل شيء معك. فقالت له وهي

تنظر له بجمود:

ـ سأفعل ما تريدون.

لم يتوقع منها ذلك الرد الذي ليس له دلالة، ولكنه صرخ في وجهها:

ـ ألم تفهمي، هيا أعطني الذهب والمال وكل ما لديك.

نزلت من الفراش وهي تردد بجمود:

ـ سأفعل ما تريدون

وذهبت لتحضر الحقيبة من أسفل الفراش، وفتحتها وأخرجت رزمة من الأموال ألقتها في وجهه وبعض المصوغات، نظر الرجل بلهفة للمال والذهب وأنزل سكينته غير مصدق، وكما توقع، فالفتاة تحمل النقود بتلك الحقيبة السوداء، وهنا استغلت تلك اللحظة وأخرجت تلك الزجاجة التى تحتفظ بها بالحمض القوى وألقته في وجهه مرة واحدة، فصرخ الرجل متألما، أذاب الحمض وجهه وعينيه وأفقده القدرة على الرؤية، و أسقط السكين والمال وكل شيء وهو يصرخ واضعا يديه حول عينه، اقتربت هي بثبات وأمسكت السكين الكبير، وقامت بضربه في قدميه لتثبته بالأرض ويسقط متألما لا يرى ما يفعل به، أحضرت بعدها الحبل وقامت بربط قدميه وربط فمه حتى لا يصرخ، وجرته

بهدوء إلى الصالة كالذبيحة، وأحضرت السكين الخاص بها وأدواتها الخاصة فهي لا تحب استخدام أدوات أحد، وقامت بترتيب غرفة النوم، فالنظام شيء هام عندها، وبعدها عادت للرجل المربوط من قدميه، نظرت لسقف الصالة بغيظ وغضب فكانت لا تجد ذلك الخطاف الموجود دوما بالحائط ويسهل عليها الكثير من الأمور في تعليق ضحاياها، لم يكن موجودا تلك المرة، قطعت اليدين بغضب وهنا استيقظ الرجل وحاول الصراخ، ولكن لم يستطع، فيبدوأن الحمض دخل في فمه أيضا وابتلع بعضا منه، فتآكل لسانه وبعض من حلقه، نيران، كان يشعر بنيران ويتمنى الموت، يدعو الله أن يموت، فأحيانا الموت راحة ورحمة من عذاب لا يحتمل، كان يشعر بتلك الشيطانة وهي تشق ثيابه، فماذا ستفعل به، وما الذي جعله يفعل ذلك، لماذا قرر أن يسرق تلك المخبولة شعر بنصل السكين وهي تنغرس في لحم صدره، فصرخ متألما ولكن صوته لم يخرج ليسمعه أحد، وهنا اقتحمت قوات الشرطة المنزل وكسرت الباب مرة واحدة، وصدموا عندما رأوا ما تفعل تلك المجنونة، فلم تهتز ولم تحاول الهرب، بل أخذت تكمل ما تفعل وما تكتبه على صدر الرجل الملقى على الأرض بالسكين، دقيقة من الصمت الثقيل، لم يستطع رجال الشرطة السيطرة على أعصابهم وتوترهم، فصرخ كبيرهم فيها أن تتوقف عما تفعل ولكنها لم تتوقف، وكأنها لا تنظر

لهم، رددت: سأفعل ما تريدون جميعا.

انتظروا أن تتوقف بعد تركها لذلك السكين الصغير من يديها مرة واحدة، ولكنها فاجئت الجميع بمسك السكين الكبير وارجاع شعر الرجل للخلف ونحره مرة واحدة في أقل من ثانية لتفصل رأسه عن رقبته أمام أعينهم دون أن تغلق عينيها، في منظر دموي بشع أشعرهم بالتقزز والغيظ، قتلت الرجل أمام أعينهم وببجاحة شديدة متحدية الجميع بلا ذرة رحمة أو شفقة أو حتى خوف من تلك الرتب والنجوم والأسلحة الموجهه إليها.

فكانت كالمدرعة وكتيبة الموت التي تفعل ما تريد ولا يهمها أحد سوى القتل وتنفيذ هدفها، فلم يتمالك الرجال أعصابهم فقاموا بإطلاق الرصاص عليها بغزارة، الجميع أطلق النيران على إنصاف في نفس الوقت بلا تفكير وبلا أي أمر من قائدهم، لقد قتلت تلك السفاحة العديد منهم ومزقت أجسادهم وتناولت قلوبهم بعد تعذيبهم، فهي تستحق الموت ولا تستحق الشفقة ولا التردد في اتخاذ القرار.

هتفوا بصوت عالي:

_ الموت للساحرة ..

***

(٩)

١٨ من يوليو ٢٠٢٠

قرية أم الصبيان - محافظة بني سويف

كان الأربعة (رأفت - موسى - زينب - الحاجة روحية)، يجوبون شوارع القرية الصغيرة باحثين عن منزل المدرعة، إنصاف السيد عبد السلام، بعد معرفة قصتها كاملة وما أخبرهم به حسنين من ملفات وزارة الداخلية والأرشيف، ورؤية لأبو المكارم وقد رأى الروح متجسدة في صورتها الحقيقية، وذهبت قريتها ومنزل زوجها القديم وكانت ترتدي ثوب أسود وتفرد شعرها الأسود الطويل خلف ظهرها، وكان الصبي الصغير يجلس على الأرض يأكل في صحن من المعدن، وعندما رأته قذفت الصحن بالطعام بأقدامها بعيدا وجذبت الصبي من شعره بقسوة، وهي تردد:

_ سأفعل ما تريدون - ستموت اليوم يا صدام وسأتناول قلبك، ولن يكون لحسان ذرية بعد الآن، وبعدها سأرحل.

وقبل أن تذبحه بثوان ويدها ممسكة برقبته بقسوة واليد الأخرى بالسكين، وكان الصبي مستسلما لها ولا يتكلم وكأنه لا يحدث له شيء، وفي تلك اللحظة دخلت طفلتان تركضان نحوها بسرعة، وهنا استيقظ موسى بفزع، لا يعرف من

تلك الطفلتين الصغيرتين، وهل قتلت المدرعة الصبي؟، لقد استيقظ في اللحظة الأخيرة وفاته أهم حدث، وكأن النور قد انفصل في أهم لحظة، وشعر بالغضب، فلم الرؤيا ناقصة تلك المرة ولم تكن مكتملة؟ عندما قص عليهم الرؤيا وقتها عرفوا بأن الروح رفضت مغادرة الأرض وظلت عالقة، من أجل الصبي صدام إبن زوجها، فلم تقتله، فهو الوحيد الناجي من المجزرة يوم موت أبيه وأخوته وعمه، ويبدوأنها ظلت عالقة، فلم تكمل ما كانت تريد ولم تنهي عملها في الأرض، قالت الحاجة روحية –وهي تحكم ربط الشال الأسود فوق رأسها لتداري جرح جمجمتها:

ـ هل وصلنا إلى دارها يا رأفت؟

رد عليها قائلا:

ـ كما تسمعين، فلا أحد يود دلنا على الدار يا حاجة روحية، فكلما سمع أحدهم اسمها ابتعد برعب، ردت عليه قائلة بصوت غريب:

ـ عندما يقترب أحد أخبرني يا بني، وابتعدوا من جواري واختفوا بمكان قريب.

وفي تلك اللحظة اقتربت إحدي السيدات المسنات من بعيد، فقالت زينب:

_ هناك إمرأة آتية يا خالة.

فقالت لهم بحزم:

_ ابتعدوا عني، واتبعوني مع السيدة، سأجعلها ترشدني.

ابتعدوا عنها كما تريد حتى إقتربت، ولا يعرفون ماذا ستفعل، ولكنها أخذت تتحدث مع السيدة لدقائق، وبعدها سحبتها السيدة من يديها، أمام دهشتهم جميعا، ولكنهم اتبعوهما، فيبدو أن الحاجة روحية أقنعت المرأة لتدلها على منزل السفاحة، وبعد السير لمدة ربع الساعة خلف الحاجة روحية والمرأة التي تمسك ذراعها، توقفت المرأة أمام منزل من الطوب الأحمر من طابقين، وكان هناك بعض الأولاد الصغار يلعبون أمام المنزل، فقالت الحاجة روحية بصوت عالي ليسمعه من يتبعوها:

_ أشكر لك ما قدمت يا بنيتي.

تركت المرأة روحية وهي تنادى على أحد الصغار قائلة:

_ نادي على جدتك يا بني، فهناك من يريد رؤيتها. نظر الصبي بتعجب لروحية التي ترتدي نظارة شمس سوداء اللون، وتمسك عصا خشبية أمامها، وقال:

_ ماذا ستعطيني؟

أخرجت روحية قطعة من الحلوى من حقيبة يديها قائلة:

_ أخبر جدتك ولك هذه.

وأشارت بيديها تجاه صوت الصبي، وهنا نظر بلهفة لقطعة الحلوى وجذبها بشدة من يد روحية وأمام غيظ باقي الصغار، وأسرع إلى داخل المنزل حتى لا ترجع في كلامها.

وهنا إبتعدت المرأة المسنة ووقفت روحية وأقترب منها الثلاثة، ووقفوا متعجبين، وهنا قال موسى بعصبية:

_ كيف أقنعت المرأة بدلك على المنزل؟

لم ترد روحية، بل إبتسمت بحزن، فهو لا يعرف كيف يتعاطف الناس مع امرأة عجوز كفيفة مشوهة الوجه، إقتربت فتاة صغيرة جميلة الوجه وقالت بفضول:

_ هل معك حلوى أخرى يا جدتي؟

إبتسمت روحية لصوت الطفلة، وأخرجت من حقيبتها بعض الحلوى وقالت للفتاة وهي تمد يدها:

_ خذي يا صغيرة ووزعي على كل إخواتك وكل الأطفال من حولك.

ابتسمت الفتاة بفرح وقالت:

ـ شكرا لك يا خالة، ولكن من أنتم؟ هل تعرفون الرجلان الآخران، لقد أحضروا لنا الحلوى أيضا وجلس..

لم تكمل الفتاة الصغيرة جملتها، خرج لهم رجل يبدو في أواخر الخمسينات من عمره بجلباب ونظراته حادة، ويبدو عليه العصبية وهنا ابتعد الصغار يركضون بعيدا، واقترب الرجل منهم بحذر وقال بصوت عال:

ـ من أنتم ولماذا تريدون أمي؟

وقالت الحاجة روحية بصوت هادىء:

ـ مرحبا بك يا ولدي، نريد رؤية أمك والتحدث معها قليلا هل تمانع؟، فنحن قادمون من القاهرة ومن سفر طويل ومرهقون ولا نريد شيء سوى الحديث معها، فهل تدخلنا إلها؟

فقال هو بتوتر وهو ينظر للخلف وكأن هناك من يشاهد ما يحدث، فقال رأفت:

ـ لا تقلق، نحن نريد سؤالها فقط عن إبنتها إنصاف السيد عبد السلام وعن قصة حياتها.

وهنا شهق الرجل ولم يرد، بل خرج من خلفه شابان وسيمان، يرفع أحدهما سلاحه الميري في وجههم قائلا:

ـ كما توقعت تماما، فأنتم تعرفون شيئا.

وهنا انفعل موسى وكاد يلكم أقرب الرجال له، لولا أن قال الرجل بقسوة مكملا:

ـ نحن محققان من الشرطة ونحقق في عدة جرائم قتل، والسفاح يستخدم نفس طريقة القتل القديمة والمادة التي كانت تستخدمها إنصاف ولم تعد موجودة في مصر، منع استخدامها، ولكنه يستخدمها، وأنتم في نفس الوقت تأتون لمنزلها للسؤال عن أمها وعن قصتها، فيا لها من صدفة عجيبة لا تحدث إلا في الأفلام الهندية الرديئة، فأخبروني ما هي قصتكم بالضبط.

فقال أبو المكارم بعصبية:

ـ نحن مجموعة من الهواة، نسجل فيلم تسجيلي عن حياة السفاحة وقصة قتلها وكرهها للرجال. وبعدها زفر بغضب، نظر له أدهم بشك طويلا:

ـ صدفة غريبة جدا في الحقيقة.

في تلك اللحظة كان سليم مساعده ينظر بتوتر للحاجة روحية ولذلك الجرح الواضح جزء منه في رأسها، انزلق الشال قليلا، وشعر بأن الأمر أكبر من مجموعة هواة يسجلون فيلم تسجيلي، نظر إلى أدهم إشارة فهمها الآخر

جيدا، وعرف ما يريد قوله، فقال أدهم شاهرا مسدسه من جديد في وجوههم:

ـ ولكنني لا أصدق ما تقولون، وبقانون الطوارئ سألقى القبض عليكم جميعا لنستكمل التحقيق في مديرية أمن القاهرة، حتى نتأكد من قصتكم، فهناك أكثر من سبع رجال تم ذبحهم وفصل رقابهم عن أجسادهم بلا رحمة في يوم زفافهم وتشويه جثتهم بنفس الطريقة التي كانت تقتل بها المدرعة الرجال في التسعينات، وأنتم تقولون لي فيلم تسجيلي عن حياة السفاحة!

قالت روحية بحكمة:

ـ انتظر يا ولدي، فلن يفيدك حبسنا، وستظل الروح طليقة تقتل في الأبرياء.

نظروا جميعا لروحية، فلماذا أخبرت الشرطي بأمرهم، نظر سليم لأدهم بحيرة، فهو يشعر بأن الأمر فيه شيء غير طبيعي من القوة التي رآها عند فحص الأماكن التي تمت فيها الجرائم، فلا يستطيع إنسان حتى لو كان قويا فعل تلك الشناعة وتدمير المكان كالإعصار، إلا لو لم يكن شيئا بشريا من الأساس.

لقد عرف أدهم بأمر تلك المادة وهو في طنطا من معمل

البحث الجنائي، وعند البحث في سجلات الشرطة، عرف عن القاتلة التي أخفت الشرطة قصتها عن الإعلام والناس لبشاعة ما كانت تفعله، وكان يشعر بأن هناك رابط بين تلك السفاحة وبين ما يحدث للضحايا، فهي نفس طريقة القتل والتدرج في العذاب، وكأن السفاح الجديد يريد إيصال رسالة ولكنه كان عاجز عن فهم شيء، فقرر أدهم السفر لبني سويف مع مساعده للبحث في حياة السفاحة القديمة، فربما كان أحد أقاربها ويريد الانتقام أو ابنا لها، هذا ما جال في خاطره،وكان يجلس مع أم القاتلة ومع أخوتها عندما حضروا هم، ليحفز عقله ويربط بينهم وبين ما يحدث من جرائم قتل في أكثر من مدينة في مصر، لقد قتلت السفاحة في كل محافظة ضحية في الماضي، وكان يريد معرفة هوية القاتل الجديد ليمنعه من إكمال الأمر.

جلسوا جميعا على مصاطب عربية في بهو المنزل يحتسون الشاي الثقيل، وكانت أم إنصاف تجلس بينهم وثلاثة من إخوتها الذكور، فقالت روحية بهدوء وحكمة:

ـ إن ما يحدث من جرائم قتل نحن السبب فيه، كنا نقوم بجلسة تحضير أرواح وحضرت روح إنصاف بالخطأ إلى الأرض وكانت عالقة لا تريد الرحيل قبل إنهاء مهمتها.

قالت الأم بحسرة وحزن:

ـ لقد قتلت زوجها وأطفاله، وقتلت عمها وأخو عمها، وقتلت الكثير من الرجال، ألم تنه مهمتها! لقد انتقمت من جميع الرجال حتى قتلتها الشرطة فماذا تريد؟

لم ترد روحية، بل كانت تشعر بمدى ألم المرأة وحزنها على ما حدث رغم مرور السنوات الطويلة، ولكن هناك نوع من الحزن والألم لا ينسى مهما مر عليه الزمن، لأنه ألم بالروح وليس الجسد، فالجسد سيشفى بالعلاج ولكن الروح سقمها جلل، فليس للروح علاج ولا ضمادات بالزمن.

قال أدهم بحدة:

ـ هل تقولون بأن كل جرائم القتل التي حدثت روح القاتلة الميتة منذ سنوات هي من قتلتهم؟

ردت زينب وهي تهز رأسها:

ـ ولن تتوقف حتى تعيد ما فعلت بالماضي وتقتل بكل محافظة رجل.

قاطعها سليم:

ـ ولكن لم روحها عالقة؟ لقد قتلت أكثر من ٣٥ رجل وطفل، وأكلت قلوبهم بوحشية ألم يكف هذا!

زفر موسى بضيق وعصبية:

ـ بينما نحن نتحدث هنا عن القاتلة ونحتسي الشاي وهي طليقة حرة تذبح وتقطع رقاب الرجال حتى ينقرضوا، هي تريد قتل إبن زوجها صدام، قتلت الجميع ولكنها لم تقتله بعد ولم تأكل قلبه كما كانت تريد، ولذلك عادت هل فهمتم جميعا؟

كان يريد أن يقوم ويلكم الجميع في وجوههم بغيظ، فلا فائدة من الكلام، يريد حلا لرحيل تلك السفاحة، ولكن لا يعرف كيف، فتلك المرة فاقت الروح في السادية أعتى الرجال؟

وهنا رد عليه أدهم بعصبيه قائلا:

ـ ومن الذي تسبب في تحرير الروح غيركم، أخبرني، فلا أدري ما الاستفادة من فعل تلك الحماقات والتدخل في تلك الإمور التي لن تفيدكم في شيء بل تخل بالطبيعة وتجلب الشر.

فرد موسى بعصبية أكبر:

ـ لقد أخطأنا ونحاول تصليح الخطأ أيها الشرطي، لم نكن نقصد فعل هذا.

وهنا قالت روحية بصوت عال:

ـ اهدأ يا أبو المكارم، اهدأ يا بني فكلانا يريد نفس الغاية، فلنمسك أعصابنا ولا نضيع الوقت في تلك التفاهات التي لن تفيد أحد غير الروح وجعلها تقتل ضحية جديدة وذنبها سيكون في رقابنا جميعا.

صمتوا جميعا ولم يتكلم أحد، قالت أم القاتلة:

ـ لم يكفها ما فعلت وتريد صدام أيضا، لا أدري كيف كانت تملك كل تلك القسوة في قلبها.

وهنا قالت زينب:

من ذاق القسوة قسى قلبه يا خالة ومات، ولقد عرفت من قصة ابنتك بأنها تعذبت كثيرا في حياتها، فقدت رحمها وقتلوا ابنتيها بلا رحمة، فلم قتل زوجها الصغيرتين وما ذنبهما!، لا أفهم كيف كانوا يفكرون.

نزلت دمعة من عين العجوز وهي ترد:

ـ إنها عادات يا ابنتي، كانت عادات عقيمة وقتها وقلة إيمان بالله، لم يكن معظم رجال القرية يقتلون بناتهم ولكن القليل منهم، فوالدها رحمه الله كان يحبها، وكان يريدها أن تكمل تعليمها، ولكن عمها رحمه الله رفض وأخرجها من المدرسة وزوجها من حسان صديقه الذي يكبرها بأكثر من عشرين سنة، ولم يكن رحيما معها هو وأمه رحمها الله

ورحم جميع موتانا، ولكن بعد قصة إنصاف وما فعلته من قتل خاف رجال القرية من خنق الفتيات عند الولادة وكتم أنفاسهن من ردة فعل زوجاتهن بعد ذلك، فأخذوا يتركن الصغيرات.

وضحكت العجوز التي تجاوزت الثمانين عاما وهي تكمل:

_ لقد أنقذت إنصاف الكثير من الفتيات الصغيرات، ولكنها لم تنقذ نفسها ولم تعش في راحة يوما رحمها الله وغفر لها، ولكن فات الميعاد على رأي أم كلثوم.

ردت روحية قائلة:

_ وأين الصبي؟ وماذا حدث له؟

نظرت العجوز إلى روحية وإلى أولادها وقالت:

_ لقد أخذه عمه الذي يعيش في مصر بعد موت أبيه وإخوته وماتت جدته حسرة عندما شاهدت أولادها وأحفادها كلهم ميتين بتلك الطريقة بعد إصابتها بجلطة دماغية، لقد كان وقتها صدام عنده ثماني سنوات، لقد مر زمن ولم أرى الفتى ولا أعرف عنه شيء.

فقال رأفت:

_ لابد من معرفة أين الصبي الآن، فهو من يستطيع إيقافها،

ولكن كيف؟

ونظرت جميع العيون لبعضها البعض وهنا قال أخو إنصاف:

_ أنا أعرف طريقه في مصر وأعرف أين يسكن.

التفتت له كل العيون باهتمام وهو يقول مكملا:

_ لقد أخبرني صديق لي في قرية أم الرجال عن مكان صدام إبن حسان الأسبوع الماضي، أصبح طبيبا ويعمل في الجامعة وفي مستشفى جامعي كبير في مصر، لقد عالج إبنه الوحيد من مرض نادر وكاد يموت، لولا الطبيب الذي أنقذ حياة الصبي، وعندما عرف بأنه من بني سويف لم يأخذ منه ثمن الكشف والعلاج وقدم له الكثير من المساعدات.

نظروا له جميعا باهتمام، وكان الجميع يفكر في نفس اللحظة في نفس الموضوع، كيف سيقنعون الروح بترك صدام وعدم ذبحه وأكل قلبه؟ أم هل سيوافق صدام بالتضحية من أجل إنقاذ تلك الأرواح البريئة التي تقوم الروح بقتلها بلا رحمة ولا أي ذنب سوى أنها تريد قتله هو؟

***

(النهاية)

استقل الجميع القطار عائدين للقاهرة، وكل منهم عقله مشغول، كيف سيقنعون الروح بترك الطبيب، وهل سوف يستطيعون إنقاذه من بين يديها وغضبها؟

أغمضوا عيونهم لعلهم يركزون في تلك الساعات القليلة القادمة، فعليهم إقناع صدام بمواجهة الروح وربما قتلته، ولكن في المقابل سينقذون باقي الرجال من الموت، سينقذون أرواح العديدين، فلن تتوقف روح السفاحة عن سفك الدماء وقطع الأعناق بسهولة متخلية عن قلب الرجل والتهامه، وكان موسى متأكدا بأن الروح التي قتلت كل هؤلاء الأبرياء بلا ذرة من الرحمة، ليس لديها قلب لتسامح وتغفر، ولن تتوقف عما تنتوي فعله، ولقد أخذوا معهم أم إنصاف العجوز ربما حاولت التحدث معها وإقناعها لجعلها تتوقف عما تفعل والرحيل، كانت الأم تجلس مكانها تتساقط دموعها حسرة، وتمسك بين يديها لفة من القماش الأسود تحتضنها، تتذكر إبنتها عندما كانت صغيرة، هي لم تنجب بنات غير إنصاف، نعم، كانت تفرق في المعاملة بينها وبين إخوتها الذكور، ولكن ما ذنبها، فهذا ما تربت عليه وما تعلمته منذ نعومة أظافرها، لم تكن تستطيع منع عمها من ضربها وإهانتها دوما وإخراجها من المدرسة وتزويجها من صديقه

حسان، ولا الوقوف لزوجها عندما قطع إصبعها، عندما أخبرت زوجها أن يكلمه، قام بالصياح في وجهها قائلا بأنها زوجته وليربها كما شاء لا دخل لنا في الأمر، فابتلعت لسانها وصمتت، فماذا ستفعل غير السكوت والصمت، فهذا قدر الله وإرادته.

كان الشرطيان أدهم وسليم يفكران، هل كل ما يحدث الآن حقيقي، هل ممكن لروح أن تقتل حقا أم أن هؤلاء الشباب وتلك العجوز يخدعونهما، هما لا يؤمنان بتلك الخرافات والأرواح والأشباح، ولكنهما يؤمنان بالأدلة والبراهين فقط، يشكون في كل شيء، حتى يثبت لهم العكس، كانوا مضطرين لمجاراتهم لمعرفة نهاية تلك النكتة، واكتشاف هوية ذلك الوحش الذي يقتل بلا ذرة رحمة أو ضمير، وليس أمامهما شيء آخر لفعله سوى إتباعهم.

وكان موسى غاضبا، فمنذ سماع قصة المدرعة ووحشيتها في التعامل مع الرجال، كان يرى بأنها لم تمت الموتة التي تشفي غليل الرجال، فلم لم يمثلوا بجثتها ويقطعونها قطعا ويلقون بها للكلاب الجائعة كما كانت تفعل بأيدى من قتلتلهم، ولكن تقتل بالرصاص بكل بساطة وسهولة، لم يرى عدلا في موتها بتلك السهولة، كان يتمنى لها موتة أكثر بشاعة، وتمنى لو كان موجودا يومها، فتلك المرة هو يريد

إيذاء تلك الروح وتعذيبها بشدة، زفر بغيظ دخان سيجارته، وتناول كوب القهوة أمامه مرة واحدة وهو يضرب بقبضته مسند المقعد، فضرب رأفت الجالس بجواره في بطنه بعنف ودون قصد، وكان نائما، ففتح عينيه بفزع متألما، فقال له موسى:

_ أكمل نومك لم أقصد.

رأى رأفت الغيظ والغضب في عيون صديقه، فلم ينطق، وأغمض عينيه مرة أخرى، بعد أن ألقى نظرة سريعة على زينب الجالسةعلى المقعد المجاور لهما بالصف الآخر من القطار، وكانت تبدو في عالم آخر وهي تضع السماعات في أذنيها وتستمع لأغنية ما، وبجوارها كانت الحاجة روحية تجلس لا يعرف هل هي نائمة أم مستيقظة، فلا يعرفون عنها شيء إلا عندما تتحدث فقط أو تتحرك بسبب تلك النظارة السوداء التي ترتديها دوما.

وكانت زينب تستمع لأغنية لأم كلثوم وتفكر في كل ما يحدث، لقد عرفت بأن القاتلة كانت تحب كوكب الشرق أم كلثوم وتحب الاستماع لها في الليل، ولكن كان عمها يمنعها عندما يراها ويوبخها كثيرا، فكانت تصعد إلى فوق السطوح وتجلس ومعها مذياع صغير وتستمع بعيدا عن الجميع وهي تنظر للنجوم والليل بعد إنهاء كل أعمال المنزل، وحتى

عندما تزوجت كانت تحب الإستماع للست، وحدثت خلافات كثيرة، فعائلة حسان كانوا ملتزمين لا يستمعون للأغاني، ابتسمت زينب بمرارة وهي تتنهد ملتزمون لا يستمعون للأغاني ولكنهم يقتلون الإناث بلا أي رحمة، مبدأ غريب، فلم البشر يفعل ويحلل ما يريد فعله فقط ويحرم ما ليس على هواه ولا يريده، كانت تتذكر حياة السفاحة كما أخبرها حسنين وبعض المعلومات عنها من الأم لعلها تجد نقطة ضعف يستطيعون السيطرة عليها من خلالها، ولكنها للأسف لم تجد، ربما لو كانوا تركوا لها بناتها ما فعلت كل هذا، هى لم يعجبها ما صنعته وما قامت به من تعذيب وسادية وتقتيل وذبح للرجال على شيء لم يقترفوه سوى أنهم رجال، فليس جميعهم سيئون، كما أن الإناث ليسوا جميعا ملائكة أيضا، فلكل نوع هناك السيء وهناك الجيد، خلق الله الصالح والطالح، أوجد الملائكة والشياطين خلق الشر والخير، وكل نوع في الجنس البشري فيه جانب مظلم من عقله مخفي عن الجميع إن ظهر ذلك الجانب دمر العالم، لأنه يكون أشد فتكا وأشرس عنفا من القنابل النووية في التدمير، وهذا ما حدث في قصة المدرعة كيف كانت تقتل وتأكل قلوب ضحاياها بوحشية شديدة وبلا أي إنسانية وكأن ما بداخلها من إنسان قد مات ولم يبقى سوى ذلك الوحش المظلم الذي خرج من شرنقته ليخبر الجميع بأنه موجود بداخل عقولهم

المظلمة.

الكثير من الشواهد المفتوحة للقبور، ليظهر كل شاهد ما بداخله، فكل قبر بداخله جثة لرجل نائم، بلا رأس فرأسه بجواره وعيونه مذعورة، وتخرج أحشائه الداخلية وأمعائه لتملأ المقبرة، وتلك الحفرة الضيقة، وكان الصدر مشقوق طوليا والبطن مبقورة، والقلب سليم ينبض بجوار الرأس، كانت هناك عشر جثث وكل جثة بنفس الحالة من البشاعة والتمثيل وباقي القبور مفتوحة وليس فيها أحد، كانت فارغة تماما، وهناك ظهرت هي، كانت قطعة من الليل، تسير بإنسيابية وكأنها طائرة، ولكنها كانت ساخنة جدا، صهد وحرارة عالية كانت تخرج منها، لا تعرف كيف، ولكن روحية التي كانت تقف بعيدا رأتها وشعرت بمدى حرارة جسدها، قالت روحية:

_ توقفي يا ابنتي عما تفعلين.

لم يهتم الشيء بكلمات روحية، وظل يسير فوق شواهد القبور، ومستمرة فيما تفعل ولم تتوقف، قالت روحيه بصوت عالي وهي تشعر بالصهد يحرق وجهها:

_ توقفي يا إنصاف، قتلت الكثير من الرجال وانتقمت لموت بناتك يا ابنتي فيكفي ما فعلت.

نظر الشيء إليها قائلا:

ـ لازال لحسان ذرية في الأرض لم أتناول قلب الصبي، سأقتل كل الرجل حتى أتناول قلب الصبي.

قالت روحية بتوتر:

ـ وماذا إن عرفت بأن الصبي قد مات ورحل من زمن يا إنصاف؟!

وهنا صرخت الروح بغضب شديد، فأخذت رمال صفراء ترتفع عاليا، والكثير من الغربان السوداء تنعق بصوت عالي في السماء، وحتى القبور قد اهتزت من شدة الصرخة، والروح تصيح بغضب وبصوت خشن مرعب:

ـ لن يموت قبل أن أتناول قلبه هل تفهمون؟ لن يموت قبل أن أفصل رقبته وأستمتع بقلي قلبه الصغير في الزيت، سوف أقتل كل طفل ذكر صغير وكل رجل، لن أترك رجل بالأرض يحيا وبعدها سأقتل كل ما هو مذكر.

وبعدها أخذت تصرخ بصوت عال حتى شعرت روحية بالصداع الشديد والدماء الدافئة تخرج من فتحتي الأذن بغزارة، فصرخت بألم، وبعدها سقطت فاقدة الوعي على الأرض والروح تركض تجاهها بسرعة وغضب كبير وخلفها إعصار أسود من الأشياء السوداء ترتفع عاليا لعنان السماء

وكأنها جيشا من الأشباح الغاضبة، وهنا شعرت روحية بزينب تهزها بقوة وصوتها المرعوب يقول:

_ هل انت بخير

شهقت روحية بعنف وكأنها ستموت، وطلبت كوب من الماء، أحضروا لها زجاجة ماء بسرعة، تجرعتها بسرعة مرة واحدة وكأنها كانت تركض في صحراء، وبعدها شهقت ولم تتكلم، التفوا جميعا حولها وشعروا بأن شيئا سيئا قد حدث لها، كان أعضاء الفريق يعرفون بأنها رأت شيء سيء يخص الروح، فقال رأفت:

_ هل كل شيء بخير يا حاجة روحية؟

ردت روحية بصوت غريب يملأه القلق والذعر:

_ لا يا ولدي .. فلن تنفع خطتنا وما اتفقنا عليه، فلن توافق الروح إلا بموت الرجل بيديها وتناول قلبه، وإلا ستظل تقتل كل الرجال، لقد ارتكبت جرائم أخرى، وهنا وفي تلك اللحظة رن هاتف أدهم وكان يتابع ما يحدث للعجوز وما تقوله بتوتر، فيبدو أن هناك شيء طارئ:

فعرف بأن ثلاث جرائم في ثلاث محافظات أخرى قد حدثت وكانت نفس طريقة القاتل ولكنها كانت أكثر وحشية ودموية من الجرائم السابقة، وكانت الجرائم في محافظات

ومدن بعيدة عن بعضها البعض، ولا يمكن لإنسان أن يفعل ذلك أبدا إلا لو لم يكن من البشر، فالفرق بين كل جريمة والأخرى ساعات قليلة، لقد أصبحت الروح سريعة، وتريد تنفيذ ما أتت من أجله بسرعة وكأن هناك سباق مع الزمن وتريد الفوز فيه والربح.

أغلق الهاتف بغضب وهو يزفر ونظر لمساعده سليم الذي فهم بأن جرائم أخرى قد حدثت والمزيد من الرجال مفصولي الرؤوس، نظر للعجوز التي يبدو عليها التوتر ، وجلس على مقعده بعنف لا يعرف كيف سيخرجون من تلك الورطة، إن الموضوع يبدو كبيرا، فهل يبلغ قادته بكل ما توصل له؟، ولكن ماذا سيقول، بأن هناك روح طليقة هي من تقتل؟

***

وصلوا لمنزل الطبيب صدام وكان يسكن في حى راقي بمدينة القاهرة، لقد أحضر أدهم عنوان الرجل بطرقه الخاصة، كان الوقت متأخر من الليل، كانت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، أغلق الرجل عيادته في تمام العاشرة وعاد للمنزل، كما عرف من بواب العمارة التي فيها عيادة الطبيب، وذهبوا إلى منزل الرجل، كانت جميع هواتفه مغلقة، فهو لا يرد على أحد بعد الساعة العاشرة وحتى الساعة

السادسة صباحا، ولكن يرد مساعده، وكان تصرف غريب من طبيب المفروض أن يجعل تليفوناته متاحة ٢٤ ساعة لمن يحتاجه، صعدوا في الأسانسير إلى شقة الرجل وكان تحقيق الشخصية لأدهم وسليم كافي لعبورهم إلى الجحيم نفسه بلا أي مشاكل ولا منغصات، لقد وصلوا لشقة الرجل بالدور الثامن ودقوا الجرس كثيرا، حتى سمعوا صوت هادىء يتساءل من خلف الباب.

_ من؟

رد أدهم بصوت قوي وعال:

_ الشرطة من فضلك دكتور صدام، افتح الباب ولا داعي للفضائح وسط الجيران.

فتح الرجل الباب، وكان يرتدي ثياب منزل ونظارة طبية، كان قمحي اللون وعيونه بنية واسعة وله شارب وذقن قصير مهذب، وممتلىء الجسد قليلا وطويل، كان يبدو بأنه طبيب، كان حقا يشبه الأطباء، نظر لهم بدهشة ممتزجة مع التوتر، كانوا كثيرين جدا وكان معهم حارس العمارة يريد معرفة ما يحدث ؟

كان أدهم وسليم ورأفت وموسى وأخو إنصاف الذي حضر مع أمه وكان يرتدي جلباب رصاصي اللون وعمه فوق رأسه،

وكان هناك زينب وعجوزتان تمسك كل منهما عصا خشبية تبدو إحداهما كفيفة بتلك النظارة السوداء التي ترتديها في هذا الليل، نظر لهم الطبيب قائلا بتوتر حقيقي:

ـ من أنتم؟

قدم له أدهم بطاقة تحقيق الهوية وهو يقول:

ـ نحن من الشرطة ونريد التحدث معك رجاء بصورة ودية لأن حياتك مهددة بالخطر ونحتاج مساعدتك.

نظر لهم طويلا، كان بإمكانه الرفض، فلم يكن معهم إذن نيابة ولا شيء رسمي، هو يعرف ذلك، فلا يحق لهم اقتحام شقته في تلك الساعة المتأخرة من الليل، ولكن هو يتذكر تلك العجوز التي ترتدي الأسود، لقد رآها من قبل عندما كان صغيرا،وجلباب الرجل الصعيدي وطريقة وضع عمامة الرأس يبدو من مدينته ومسقط رأسه، فشعر بأن هناك شيء هام حقا، وهو رجل يعرف في الأصول جيدا فلم تنسه حياة القاهرة أصله الصعيدي وما رباه عليه عمه رحمه الله، لا تغلق بابك في وجه محتاج يطلب مساعدتك، ففتح لهم باب الشقة وقال لهم:

ـ تفضلوا بالدخول.

وابتعد ليسمح لهم بدخول الشقة ونظر إلى حارس العمارة

قائلا:

ـ اذهب للنوم يا عبد الستار، فهم جماعة من أقاربي لا تقلق.

حاول البواب الاعتراض، ولكن صدام لم يسمح له وأغلق الباب وهو يقول:

ـ شكرا لك.

ودخل إلى ضيوفه بعد إدخالهم إلى غرفة مكتبه وأغلق بابها خلفه، وقال لهم:

ـ تفضلوا.

جلسوا على الصالون الموجود بغرفة المكتب وجلس هو خلف مكتبه قائلا:

ـ والآن أخبروني ماذا تريدون سريعا رجاء لأن أطفالي نائمون ولا أود إزعاجهم.

نظر بعضهم لبعض بتوتر كبير، فالرجل لديه أطفال، فماذا ستفعل فيهم روح القاتلة، وصمتوا فقال هو بهدوء:

ـ هل تخبروني ما أتيتم من أجله رجاء لأن وقتي لا يسمح بهذا الصمت؟

وهنا قال موسى مندفعا كعادته:

ـ هناك روح تريد قتلك.

نظر له الطبيب ولم يرد، أكملت زينب بهدوء وحكمة وقصت على الطبيب قصة روح زوجة أبيه وما تريده منه، وأكدت كلامها الحاجة روحية ورأفت وأخبروه بأنهم حضروا الروح بالخطأ والروح عالقة، وقصوا كل شيء، وهنا صمت الجميع وهم ينظرون إلى ردة فعله، وكان هو ينظر إلى عيونهم بذعر لا يصدق ما يقولون، ولكنه لن ينكر بأنه كان يحلم بزوجة أبيه إنصاف دوما وهي تقتله وتنتزع قلبه، كان دوما يرى ذلك الكابوس عندما كان صغيرا، ولكنه سمع أحاديثهم من خلف الأبواب وكيف مزقتهم جميعا ببشاعة، وكان عقله يصور ويتخيل أشياء أكثر، حتى سافر مع عمه عوض إلى القاهرة ليعيش معه هناك، وكان عمه تاجر فاكهة كبير، ورباه عمه مع أولاده وعامله أحسن معاملة هو وزوجته رحمهما الله.

ولكنه كان دوما يحلم بزوجة أبيه وهي تلتهم قلبه، وهو ينبض بين يديها، ربما بسبب ذلك الحلم الغريب الذي كان يراوده منذ الصغر قرر أن يكون طبيب قلب، ليعرف كيف يستمر القلب في الدق والنبض بعد إخراجه من الجسد، لقد كان يراها في منامه وهي تستخرج قلبه ومازال ينبض

ويتحرك بين يديها وهي تلتهمه، لقد ذهب لطبيب نفسي ليحاول أن يعرف سبب خوفه من ذلك الحلم وذلك المشهد الذي لا يفارق خياله، ولكن الطبيب النفسي الذي يعالجه لسنوات طويلة فشل وأخبره بأن ما يراه بسبب ما فعلته زوجة أبيه في أبيه وأخوته، الشعور بالذنب بأنه مازال حيا وكان المفروض أن يكون معهم، فلو كان معهم يومها ولم يذهب لجدته كان سيكون معهم الآن ولن يعيش هو يستمتع بالحياة ويموت إخوته، كانوا سيموتون كلهم معا، وتكون نهايتهم واحدة ولكنه القدر، لقد اختار له القدر الحياة.

قطع حبل أفكاره رنين هاتف الشرطى أدهم، رفع الشرطى الهاتف ليستمع لرئيسه وقائده، وبعدها احمر وجهه غضبا، واغلق الخط وهو يردد بصوت مبحوح:

_ ضحيتان جديدتان في محافظة قنا ومحافظة الشرقية، تم ذبح عريسان ليلة زفافهما وحرق أعضائهما وقطع الكفين وإخراج قلبيهما واعتصارهما، نفس البشاعة والوحشية في التعامل مع الجثث وفصل الرؤوس وقطع الأيدي وبقر البطون زفر رأفت:

_ إن المسافة بين المحافظتين كبيرة جدا، يبدو أن الروح تريد الانتهاء من الأمر سريعا ولن يوقفها أحد عما تفعل.

قالت روحية بصوت حكيم:

ـ أنت أيها الطبيب الوحيد الذي يستطيع أن يجعلها تتوقف.

قاطعها الطبيب قائلا بحسرة:

ـ هل تريدين منى أن أقتل نفسي يا أمي لترتاح روح زوجة أبي؟

ردت روحية قائلة:

ـ لا يا ولدي لم أقل ذلك، ولكن سنستدعي الروح من خلالك أنت، فهي تريدك وعادت من أجلك وبعدها نحبسها هنا.

وأخرجت زجاجة سوداء بداخلها بعض الخرز الأزرق.

ـ سنحاول إعادتها إلى مكانها.

نظر موسى ورأفت وزينب إلى روحية بعدم فهموا، فما تقوله ليس صحيح أبدا، يبدوأنها تخدع الطبيب وتخدع الجميع، هي تريد أن تحضر روح القاتلة وهي تعرف بأنها لن ترحل إلا بعد قتل الطبيب وتناول قلبه، فقالت زينب بغضب:

ـ ماذا تقولين يا..

ولكن موسى قاطعها قائلا:

ـ نعم، ليس هناك حل آخر لمنع الروح من قتل المزيد من الضحايا والأبرياء، فالروح تقتل ولن تتوقف عن القتل إلا عند حبسها يا زينب وتحقيق ما تريد.

وضغط على حروف كلماته كثيرا، ففهمت وصمتت، حتى سليم وأدهم والسيدة العجوز وابنها فهموا الأمر.

جسد واحد يضحون به مقابل انقاذ عشرات وربما مئات الأجساد من الموت والذبح والتعذيب، فأي الكفة سيرجحون، ومن سينقذون، الواحد أم الجماعة؟ كانوا يشعرون بتأنيب الضمير جميعهم ولكنهم سيحاولوا ردع الروح بالحسنى أولا وإن فشلوا فلتفعل ما تريد، وسيتركون لها جسد الطبيب مادام هذا ما سيجعلها ترحل وتترك العالم يعيش بسلام، وليغفر لهم الله ما فعلوه من إثم فهو الغفار الرحيم، ولكنهم مجبرين ومرغمين على فعله لإنقاذ الآخرين، وهم يعرفون بأن الروح لن ترحل بدون قتل الطبيب.

وافق الطبيب على ما يقولون، وقامت روحية بتحضير جلسة تحضير الأرواح وأمرتهم أن يصمتوا ولا يحاولون إغضاب الروح عندما تحضرها، لن يحتاجوا إلى وسيط تلك المرة للتحدث الروح من خلاله، لأنها موجودة بالفضاء وحرة طليقة، هم يريدونها أن تأتي كطاقة، جلسوا جميعا على شكل دائرة وأطفأوا الأنوار وأضاءوا بعض الشموع

في المنتصف وجلسوا جميعهم على المقاعد حول منضدة قصيرة تراصت حولها الشموع المشتعلة، وبعض أشياء إنصاف الخاصة، كانت الأم تحتفظ بها منذ سنوات لم تتخلص منها، المذياع الصغير لإبنتها الذي كانت تستمع فيه لأم كلثوم، ومجلة قديمة للموضة كانت تحب تصفح صور لبس الفتيات فيها وثوب وردي اللون بأكمام قصيرة قامت بتفصيله بنفسها وهي تقلد ثوب إحدى الفتيات بالمجلة، كانت تحب ارتدائه بعيدا عن نظرعمها الذي كان يوبخها عند ارتدائه وأحيانا يضربها، ومرة مزقه لها عندما رآها ترتديه، ولكنها قامت بتصليحه من حبها فيه، لقد طلبت الحاجة روحية من الأم أن تحضر شيء كانت تحبه ابنتها، وطلبت الحاجة روحية من زينب إشعال البخور لجذب الروح، وهنا قالت روحية بصوت عميق:

_ لا أريد أن يتحدث أحد منكم لأي سبب من الأسباب، في البداية دعوني أتحدث معها وعندما أطلب من أحدكم بإسمه أن يتحدث فليتحدث، ولا أريد أي خطأ، فليس أمامنا فرصة أخرى لإنقاذ الضحايا إلا تلك.

وهنا إبتلع الجميع ما في حلقهم بتوتر وتصاعد الخوف في الأجواء، وهنا بدأت الحاجة روحية بقول بعض الكلمات والتمائم والأقسام والعزائم بصوت منخفض ولكنهم كانوا

يميزون بعض الحروف لإسم إنصاف من بين الكلمات التي تقولها، دقائق من الصمت مرت ثقيلة جدا، وهنا هبت رائحة كريهة جدا وهواء بارد ضرب وجوههم، فقالت روحية:

ـ هل حضرت يا إنصاف، لقد استدعيت روحك يا ابنتي؟

ازداد صفير الرياح في آذانهم واشتدت البرودة وزادت رائحة الشيء المتعفن بالمكان وازدادت ضربات قلوبهم في الخفقان، كانوا يشعرون جميعا بأن هناك شيء غريب معهم بالغرفة، ولكنهم لم يجرؤوا على الحديث، سمعوا صوت روحية تقول:

ـ إن كانت هنا روح إنصاف السيد عبد السلام فلتعطي لنا الإشارة بالحضور رجاء وتفعل شيء.

وهنا اشتغل المذياع القديم التالف منذ سنوات على صوت أم كلثوم وهي تردد بصوت عال قوي:

أعطني حريتي أطلق يديَّ...

إنني أعطيت ما استبقيت شيَّئا..

آه من قيدك أدمى معصمي...

لم أبقه وما أبق عليَّ...

ما احتفاظي بعهودٍ لم تصنها...

وإلام الأسر والدنيا لديَّ...

أعطني حريتي أطلق يديَّ....

وبعدها أخذت صفحات المجلة تقلب صفحة وراء الأخرى، كان التوتر يسود الأجواء والخوف، لا صوت يعلو فوق صوت قلوبهم المرتجفة الخائفة، حضرت الروح حقا، كانوا يحاولون الثبات، فهم يعرفون بأن القادم سيكون سيء لا محالة، فالروح تخبرهم بأن يعطوها حريتها ويطلقون سراحها من خلال أم كلثوم، لحظات ثقيلة من الصمت قاطعتها روحية قائلة:

_ نحن لم نحبس روحك يا إنصاف، ولكننا نريد منك الرحيل والكف عما تفعلين من الأذية وقتل الأبرياء.

وفي تلك اللحظة حدث شيء غريب جدا، لقد ارتفع الثوب الموضوع على المائدة عاليا وأخذ يتحرك في الفضاء، وكأن هناك من يرتديه، وسمعوا صوت أنثوى قوي لهجته صعيدية ويقول بخشونة:

_ كنت أحب هذا الثوب،صنعته بيدي.

وهنا شهقت الأم عند سماع صوت إبنتها، فهي تعرفه جيدا، وبكت بصوت عال قائلة:

ـ لماذا يا ابنتي فعلت ذلك؟ لماذا يا إنصاف تقتلين الأبرياء؟

استدار الثوب مسرعا تجاه الأم ووقف في مواجهتها وصوت قوى غاضب يأتي من الفضاء يقول:

ـ لأنهم يستحقون الموت، كل الرجال يستحقون الموت يا أمي، سأقتل الجميع ولن أرحل إلا بعد قتل كل نسل حسان كما قتل بناتي. سألتهم قلب إبنه صدام وبعدها سأرحل من عالمكم.

ابتلع الطبيب ما في حلقه الجاف وهو يستمع لها، كان كل ما يحدث الآن، يحلم به تماما وهي تمسك قلبه بين يديها، وبعدها أخذت الروح تلقي كل الكتب على الأرض بغضب وتقلب كل شيء بالغرفة، فقالت روحية:

ـ ولم لا ترحلين؟ فيكفي ما قتلت من رجال؟

تحرك الثوب في الفراغ ليحوم حولهم قائلا:

ـ لديكم ستة رجال، ولن يخرجوا من تلك الغرفة، سيموتون جميعا، فاختاري يا أمي أي الرجال أبدأ؟

وأخذت تلف حول أخيها وهي تردد، هل أقتل إبنك؟ أتذكره جيدا عندما كسر لي يدي يوما، وبعدها لف الثوب في الهواء

وأخذ يقلب الأشياء قائلا بغضب:

ـ هل تتذكر؟، لقد عرفتك من جرح يديك يا سالم.

وكان حقا هو، ولديه ندبة كبيرة وجرح في كف يديه إثر حادث تعرض له وانقلابه بالسيارة في الطريق.

صرخت الأم بلوعة:

ـ لا يا أنصاف، من أجلي فهو أخيك يا ابنتي.

سمعت الصوت الغاضب وهو يصرخ:

ـ ولكنه رجل ولا يستحق سوى الموت والتهام قلبه.

واقترب الثوب طائرا بسرعة تجاه الأخ المذعور الذي لم يكن يعرف كيف يتصرف في تلك المصيبة، ارتفع المقعد لأعلى عاليا أمام عيونهم جميعا وكان هو يصرخ بعنف، وهو يشعر بالالم وصوتها عال يردد:

ـ هل أفصل رقبته الآن أم أذهب لرجل غيره؟

وأسرع الثوب يطير بالهواء وكأن هناك من يرتديه تجاه الشرطى أدهم، وفي تلك اللحظة سقط المقعد من الهواء من مكانه المرتفع مرة واحدة وهو يحمل سالم، فتحطمت أقدام المقعد وسقط الرجل فاقد الوعي وصرخت الأم الملتاعة رعبا، واقترب الثوب الطائر من أدهم، وشعر أدهم بنيران

تحرق وجهه وكأن هناك من يتنفس حقا بالقرب منه، وشعر بالتوتر والخوف ولم يجد إلا سلاحه الناري ليخرجة من جيب سرواله ويصوبه تجاه الثوب ويطلق النار، ثلاثة طلقات من الرصاص، كان الصوت مدويا وعاليا، وهنا سمعوا صوت الروح الغاضب وهي ترتفع لأعلى بالثوب بعد أن أخترقته الرصاصات الثلاثة، لتثقبه وتخرج من الجهة الأخرى، وهنا ثارت الروح وجن جنونها لقد ثقبوا ثوبها المفضل فأخذت تصرخ غاضبة وتلقي كل شيء بالغرفة بعنف وهي تردد:

_ سافعل ما تريدون جميعا.. سأقتلكم جميعا..

اقتربت الروح من أبو المكارم الذي صرخ منفعلا:

_ لا نريد منك سوى الرحيل أيتها اللعينة، ارحلي فقط وعودي للجحيم.

وهنا قامت الروح بقذفه بأحد المقاعد في وجهه فأصابت رأسه بشدة وأخذت تنزف بغزارة شديدة وهو يشعر بالدوار والألم.

صرخت روحية بغضب:

_ ماذا فعلتم يا حمقى، لقد أغضبتم الروح، لن تغادر الغرفة إلا بقتلكم جميعا.

حاولت التحدث معها وجعلها تهدأ، ولكنها كانت كبركان ثائر، وهجمت على أخيها الفاقد الوعي وقامت بقطع إحدى يديه،وجرته على الأرض بقسوة وترفعه عاليا من قدميه، وكانت الدماء تتساقط وفتح، هو عينيه بألم فوجد نفسه معلقا من قدميه بالهواء، وحاول الصراخ ولكن كان هناك ما يمنعه، وصرخت أمها برجاء:

_ لا تؤذين أخيك يا إنصاف،إقتليني أنا قبله.

واحتضنت جسد إبنها وحاولت جذبه للارض في محاولة لحمايته، وهنا طار الثوب عاليا وسقط سالم على رأسه فشجت وسال الدم منها، ومازال كل شيء بالحجرة يتساقط بعنف وبصوت عالي أمام صرخاتهم جميعا، وبعدها اقتربت من الشرطى أدهم وجذبته بقوة ورفعته عاليا من قدميه، وقامت بقطع إحدي يديه بقسوة، لا يعرفون كيف، مر كل شيء بسرعة، فصرخ سليم متألما، وأخرج مسدسه بغضب وهو يرى تلك الدماء المتساقطة من كف زميله المقطوع على الأرض وزميله المعلق من قدميه بالهواء فاقد الوعي، وأخذ يضرب الطلقات على الثوب الذي يتحرك طائرا بالفراغ بالغرفة، وترك الجسد يسقط على وجهه بلا رحمة، وهو يردد بقسوة:

_ سافعل ما تريدون جميعا.

كانت زينب ستموت فزعا وهلعا مما يحدث أمامها، وكانت روحية تبكي على ما سيحدث، فستقتل الروح كل من هو مذكر بالغرفة ولن ترحل إلا عند قتل الست رجال، هي تعرف بأنها لن تمس أي فتاة بسوء، فالقاتلة لا تقتل سوى الرجال، ولكنها هي السبب في كل هذا، هي السبب في إحضارها بالغرفة، وهنا وقف الطبيب صدام مرة واحدة وهو يصرخ بصوت عالي وهو يرى كل ذلك الألم المرتسم على الوجوه والرعب وما يحدث من غضب الروح الهائمة:

_ انتظري يا زوجة أبي « أنا صدام إبن حسان » ومن تريدين قتله ، وتبحثين عنه منذ سنوات اقتليني وارحلي وكفي عن القتل والتعذيب للأبرياء، هيا، أنا أمامك ولن أقاومك، ولكنني لن أتحمل رؤية أحد يموت بسببي أنا وبسبب غلطة فعلها أبي منذ زمن ودفع ثمنها.

وهنا إقترب الثوب مندفعا تجاهه بسرعة ووقف يتفحصه.

وهنا نزع الطبيب ثيابه العلوية بسرعة ولف ظهره لها، وهو يكمل كلامه قائلا:

_ لتتأكدي بأنه أنا انظري اعلى ظهري .

وكان وشم بإسمه كاملا محفور على ظهره باللون الأخضر، كان عادة من عادات أبيه أن يحفر أسمائهم على ظهورهم

كاملة مع صورته، صورة الأب وشاربه الضخم، ومرت دقيقة من الصمت المطبق، لم يتكلم أحد ولا حتى الروح، ولكن الثوب ظل معلقا وكأن هناك من ينظر بغل لمن بداخله، وبعدها سمعوا صوت الروح وهي تقول بهدوء:

_ خرجوا جميعا من الغرفة ودعوني مع من أريد.

وفتح باب الغرفة مرة واحدة من تلقاء نفسه، وفي تلك اللحظة إندفعت طفلتان صغيرتان عمرهما تقريبا خمس سنوات، كانت تبكيان بهيستريا واندفعت تجاه الطبيب لترتميان في حضنه وتبكيان قائلتان، من بين دموعهما:

_ بابا، هل أنت بخير ؟، ما تلك الأصوات العالية والشجار؟ نحن خائفتان يا أبي..

فرد الطبيب وهو يحاول التماسك ويحتضنهما بقوة ويقبلهما:

_ أنا بخير يا أميراتي لا تخافا سيكون كل شيء بخير.

ردتا في صوت واحد من بين دموعها الصغيرة:

_ هل سترحل يا أبي وتتركنا كما رحلت أمي للسماء وذهبت إلى الله في الجنة؟

لم يستطع الأب الرد عليها، ولكنه احتضنهما بقوة وحاول

أن يمسكهما أكثر ويضمهما إلى صدره، وتساقطت دموعه بقهر، هو لا يريد أذية بناته وحرمانهم منه، ولكنه لا يريد أذية أحد آخر بسببه، تساقطت دموع الواقفين، فقالت الطفلتان بصوت باك:

ـ هل أنت ذاهب للجنة يا أبي؟، خذنا معك إلى الله، فليس لنا أحد غيرك أنت بعد رحيل أمنا بالدنيا، نحن نحبك.

رد الأب قائلا:

ـ وأنا أعشق التراب الذي تسيران عليه يا أميراتي والهواء الذي تتنفسانه، لا تقلقا سيكون كل شيء بخير، وستعيشان العمر كله في سعادة حتى لو ابتعدت عنكما، لا تقلقا.

وهنا أخذ كل شيء بالغرفة يتساقط بغضب وثورة وغيظ، والثوب يتحرك في كل اتجاه، والمقاعد ترتفع ثم تتساقط على الأرض، وصوت صرخات وصياح عال يصم الآذان فقالت أم إنصاف بحرقة:

ـ اقتليني أنا يا إنصاف، واتركيه يربي بناته يا بنيتي، فليس لهم أحد سواه بعد موت أمهم، بالله عليك يا ابنتي، سوف يتعذبون بالدنيا كما تعذبت أنت وتألمت.

وهنا سمعوا صرخات عالية والثوب يتحرك هنا وهناك بغضب، وذهب للطفلتين وأخذ يقترب منهما، والطفلتان

تصرخان وتخبئان وجوههما الصغيرة في صدر والدهما، ويمسكانه بقوة، والثوب يقترب وكأنه يتحسس جسديهما ويشم رأسيهما، وهنا أخذت الطفلتان تبكيان بحرقة وتصرخان، عندما شعرا بمن يلمس رأسيهما وتقولان:

_ نحن خائفتان يا أبي، لا نريد أن ترحل وتموت، خذنا معك يا أبي إلى أمي، لا تتركنا.

أخذ الأب يحاول تهدئتهما وتقبيل رأسيهما الصغيرتين وهو يردد:

_ لا تخافا يا أميراتي، سنكون معا ولن أتخلى عنكم أبدا.

وهنا سمعوا جميعا الصوت يقول بغضب:

_ سأفعل ما تريدون، لن أرحل بدون إبن حسان.

وأخذت الصرخات تتعالى وتتعالى، فاضطروا للخروج من الغرفة، فالسفاحة مصرة على قتل الطبيب لترحل، وهنا حاولت زينب أخذ الطفلتين، ولكنهما رفضتا الخروج مع زينب، حاولت جذبهما بالقوة بلا جدوى، وحاول سليم معهما بلا جدوى، كانتا متشبثتين بالأب بقوة، وكان هو متمسك بهما أيضا ولا يريد تركهما فيموتوا معا، فمن سيأتمن عليه بناته في الدنيا وليس لهما أحد غيره فأمهما ميتة، وهنا قالت روحية بحكمة:

ـ اتركوهما وهيا اخرجوا جميعا، فالأفضل أن يظلوا معا.

فقال رأفت بـتـأثر:

ـ ولكنها سوف تقتل أبيهم وتذبحه أمام أعينهما يا حاجة روحية.

فردت روحية:

ـ يموت ثلاثة يا ولدي من الأبرياء وفي المقابل العشرات وربما المئات غيرهم من الأبرياء سيعيشون بأمان وهنا تذكر موسى شيئا، وقال بإنفعال:

ـ إنها محققة، يموت ثلاثة أبرياء فقط ، أفضل من أن يموت المئات وربما الآلاف من الرجال والضحايا ، فهي لن ترحل بدونه.

وهتف بعدها بصوت عالي وإنفعال وهو يدفعهم خارج الغرفة:

ـ اخرجوا جميعا، فالأفضل أن يظلوا معا،إما أن يموتوا معا أو يعيشوا معا.

وأخرجهم بالقوة أمام دموع زينب وحسرتها على الفتاتين الصغيرتين، فليس لهما أي ذنب، ودموع العجوز وهي لا تعرف كيف أنجبت ذلك الوحش الكاسر، كيف حملت في

بطنها تسعة أشهركاملة سفاحة لا تعرف شيء عن الإنسانية والرحمة، وبعدها أرضعتها عامين كاملين، هي لم تكن يوما قاسية فلم ترضعها القسوة من صدرها أبدا، في تلك اللحظة فقط تمنت أن تكون كتمت أنفاسها وخنقتها يوم معرفتها بأنها أنثى، يا ليتها قتلتها يومها وكتمت أنفاسها لمنعت كل ذلك الشر أن يخرج للعالم.

أغلقو الباب خلفهم وكان ابنها يحاول كتم نزيف يديه بعد قطع كفه، والشرطي يفعل مثله، اتصل أدهم بسيارة الإسعاف وكانوا يسمعون صرخات الطفلتين الصغيرتين وصوت أشياء تتحطم بصوت عال، وبعد دقائق هدأ كل شيء تماما وكفت صرخات الصغار، وسمعوا صوت المذياع عالي، وصوت أم كلثوم القوي يردد بقوة:

فات الميعاد...

وبقينا بعاد بعاد..

والنار، النار، النار..

النار بقت دخان ورماد..

فات، فات الميعاد..

وبقينا بعاد بعاد...

والنار، النار، النار بقت..

النار بقت دخان ورماد

فات، فات الميعاد...

وهنا تعالت أنفاسهم وشعروا بالخوف ونظروا جميعا إلى باب الغرفة المغلق متوقعين أن يروا جثث الأطفال والطبيب ممزقة شر تمزيقة، وكانوا يشعرون بالندم لما فعلوا، فيا ليتهم لم يأتوا لمنزل الرجل ولم يخبرها بأنه هو المقصود، دموع كانت تتساقط صامتة وقلوب كانت ترتجف واجفة، وعيون يملؤها الندم والحسرة، وأقدام ترتجف وهي تقف على الأرض الصامدة، ولكنه القدر، ومن منا يهرب من قدره وما كتبه الله له من مصير في تلك الدنيا، لقد كان مصير الرجل الموت وربما الله رحيم به، إن مات مع بناته ولم يتركهما للدنيا وغدرها وذلها، لا يهم كيف ماتا، فالموت بالنهاية واحد، ولكن المهم بأن الأرواح غادرت سويا مع من تحب، كان كل منهم يشعر بتأنيب الضمير، نعم لقد مات الطبيب وأنقذ العديد من الأبرياء ولكنهم يشعرون بالندم والحسرة، فما ذنب تلك الطفلتان الصغيرتان.

وهنا اندفع موسى كعادته المتسرعة ليفتح باب الغرفة ليرى ماذا فعلت المدرعة بالطبيب وبناته، وهنا وجد الطبيب يجلس على الأرض يحتضن بناته، وإحدى الطفلتين تقلب

في صفحات المجلة وتشاهد صور الفتيات، والأب يحتضنهما ودموعه تتساقط وبجوارهم الثوب الوردي لإنصاف ملقى على الأرض، يبدو أن الروح قد تركته.

ابتسم أبو المكارم عند رؤيته للطبيب وبناته على قيد الحياة، فيبدو أن روح المدرعة قررت أن تعفو عن الرجل من أجل بناته الصغار وترحل تاركة الأرض والرجال يعيشون بسلام بلا قتل وتمزيق للجثث.

وكان المذياع الصغير يردد صوت كوكب الشرق أم كلثوم بصوتها الرائع وهي تقول بصوتها القوي مقطع:

وكفاية بقى تعذيب وشقى..

كفاية بقى تعذيب وشقى..

ودموع في فراق ودموع في لقى.

تمت بحمد الله..